الخطيب الداعية وأهم مقوماته في ضوء القرآن والسنة

دكتور

عبد المنعم مختار عبد الرحمن

المدرس بقسم الأديان والمذاهب

بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، ميز الإنسان بالعقل، وكرمه بالفكر، وامتن عليه بنعمة البيان. والصلاة والسلام على إمام النبيين، وسيد المرسلين، ورحمة الله للعالمين؛ سيدنا محمد ﷺ أفصح الناس لساناً، وأوضحهم بياناً، وأحسنهم منطقاً وخطاباً، فلم يسمع الناس بكلام أعم نفعاً، ولا أحسن لفظاً، ولا أكرم مطلباً، ولا أجمع موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه- صلوات الله عليه- فاللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،،،

فإن الخطابة تعد من أهم وأقوى وسائل التبليغ على مر العصور والأزمان. بل لا أجاوز الحقيقة إذا قلت: إنها تتربع على عرش وسائل الاتصال بكافة أشكالها وألوانها. وإنها ستظل كذلك- بمشيئة الله تعالى- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك لما تتفرد به من خصائص ومميزات لا توجد في غيرها من الوسائل الأخرى، كالاتصال المباشر بالجماهير، والتأثير النفسي، والإقناع العقلي، واستمالة القلوب، وتحريك المشاعر، وإثارة الوجدان، وغير ذلك.

وإن نجاح العملية الخطابية متوقف- في الأساس - على مدى توفيق الله تعالى للخطيب، ونجاحه في أداء مهمته، كما أنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بقدرة الخطيب الفنية، وإمكانته العلمية، وطاقاته الروحية والنفسية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكيف ولا؟ والخطيب هو الذي يقوم بتأليف خطبته، وتحديد عناصرها، وترتيب أفكارها، وجمع أدلتها.

- وهو الذي يلقيها بنفسه على مستمعيه في أجمل صورة، وأوضح بيان.
- كما أنه هو الذي يتخير لخطبته من طرق التأثير، ووسائل الإقناع ما يستميل به الناس إلى ما يدعو إليه استمالة تحملهم على الالتزام بما يقول عن رغبة واقتناع.

ولا شك أن الخطيب الذي أقصده وأعنيه هنا هو الخطيب الداعية المثالي، الذي جعل الدعوة إلى الله غايته، واتخذ الخطابة من أجلها حرفته وهوايته، وآمن بالكلمة الواعية طريقاً للإصلاح والبناء، وأيقن أن الإسلام منهجاً لقيادة الجماهير، وتوجيههم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

ولا ينبغي لأحد أن يتصور أن هذا الخطيب الذي ننشده جميعاً ونتمناه مستحيل الوجود، أو أنه- حتى إن وجد- عديم التأثير أمام هذا التطور المذهل في وسائل التوجيه والإعلام، لأن الحياة المعاصرة بكل ما فيها من وسائل وتقنيات متقدمة هي التي تجعلنا نؤمن بضرورة وجود هذا الخطيب، وإمكانية تكوينه، وإعداده بما يلزمه من عوامل التأثير، ومقومات النجاح، ليسهم بدوره الفعال في تربية النشء، وصناعة الأجيال.

إن الخطيب الداعية أمل كبير، يجب أن تسعى لتحقيقه كافة المؤسسات والأجهزة المعنية، وأن تتكاتف من أجله كل الجهود في عصرنا هذا، وفي كل عصر، خدمةً لأمتنا، وحفاظاً على ديننا وتراثنا وحضارتنا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هذا المنطلق كان تفكيري الجاد في كتابة هذا البحث، رجاء أن يفتح الله به الطريق أمام كل من يجد في نفسه رغبة واستعداداً لخوض هذا الميدان، والانضمام إلى ركب الخطباء الدعاة إلى الله ﷻ في وقت أصبح الخطباء المتميزون فيه قلة، والحاجة إليهم ماسة في كل مكان، وهم في الحقيقة لقلة عددهم عاجزون عن ملء هذا الفراغ الهائل الذي يشعر به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وعناصر البحث.

وأما المباحث الثلاثة، فهي:

المبحث الأول: مكانة الخطيب الداعية.

المبحث الثاني: إعداد الخطيب الداعية.

المبحث الثالث: أهم مقومات الخطيب الداعية.

وأما الخاتمة: فقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به أبناء المسلمين من الدعاة المخلصين والعلماء العاملين. إنه سميع قريب مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

مكانة الخطيب الداعية

للخطيب الداعية في منظور الإسلام مكانة رفيعة لا تساويها مكانة، ومنزلة عالية لا تدانيها منزلة، لأنه حينما يقف أمام الناس في أي مكان ويتحدث إليهم إنما يمثل رسول ﷺ وينوب عنه فيما يدعوهم إليه. وهذا شرف ما بعده شرف ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[1] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2].

ومن جانب آخر فإن الخطيب الداعية يخاطب في الإنسان أغلى وأشرف ما وهبه الله تعالى – قلبه وروحه وعقله- وبهذا يستطيع أن يؤثر في الناس، ويأخذ بأيديهم- في رفق ولين- إلى شاطئ الأمان، إلى طريق رب العالمين، وأن يوجههم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وبذلك يؤدي الخطيب لمجتمعه وأمته خدمة جليلة، تفوق في أهميتها وخطورتها كل ما يقدمه أفراد المجتمع من خدمات في شتى الميادين والمجالات.

يقول الدكتور/ عبد الجليل شلبي:" أنت يا خطيب المسجد أشد فاعلية في نفوس الجماهير من رجل البوليس الحاكم، ورجل المباحث المتطلع، والوزير الآمر لأنك تقتلع جذور الشر من نفس المجرم، وتبعث في نفسه خشية الله، وحب الحق والعدل، ومعاونة الناس، والتخلي عن شيء من حقوقه مرضاة للآخرين.

---

(١) الآية ١٠٨ من سورة يوسف.

(٢) الآية ٣٣ من سورة فصلت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأنت توفر على رجل البوليس، والقائم على أمن الدولة جهداً كبيراً، وأعمالاً شاقة، وإن كانوا لا يشعرون.

إن الناس لا يخافونك، ولكنهم يجلونك ويحبونك.

إن ميدان عملك هو إصلاح الضمائر، وإيقاظ العواطف النبيلة في نفوس الناس، فعملك هو نفخ الروح في الأجساد، وبث الحياة في الأفراد"(١).

ومن جانب ثالث: فإنه- أي الخطيب الداعية- حينما يقف أما مستمعيه إنما يكون في موقف المعلم والمرشد، والناس بين يديه يرمقونه بأبصارهم، ويشرئبون إليه بأعناقهم، ويستمعون إليه وكلهم آذان صاغية، وأذهان واعية، ويلتزمون نصحه وإرشاده في إجلال وتقدير.

وهذا إن دل فإنما يدل على سمو رسالته، وعلو مكانته التي تفوق مكانة من سواه من الناس أجمعين.

يقول الشيخ على محفوظ – رحمه الله:

"ما أعظم مكانه الخطيب في النفوس، وأنفذ كلامه في القلوب، وأشد إثارته للعواطف، والخطيب أمير القوم الذي تتجه نحوه أنظارهم، وتحدق به أبصارهم، وتلتف حوله قلوبهم، وتترامى إليه آمالهم، يستميلهم بالقول إذا قسوا، ويستخضعهم به إذا عصوا، ويمتلك نفوسهم بالرغبة تارة، وبالرهبة أخرى، وينفخ فيهم وقت الحاجة روح الحماس، فيقذف بهم الجبال فيدكونها بين يديه، ويلين لهم بالقول فإذا استوهبهم الأموال -بل الأرواح- وهبوها له، فو الله إنها

---

(١) انظر: فن الخطابة وإعداد الخطيب، للدكتور/ عبد الجليل شلبي ص٤٩٨. بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مكانة سامية، وسلطان نافذ القوة في الأرواح، لا يدانيه نفوذ الأمـــراء وقـــوتهم" أ.هـــ [١].

ولذلك كان بعض الحكام والأمراء يستعينون بالخطباء والوعاظ للحصول على رضا الناس وطاعتهم له[٢].

ومن جانب رابع: فإن الخطيب الداعية تزداد أهميته وتعظم مكانته، لأنه القائم بعملية الإصلاح الدائمة، وإنقاذ الأفراد والجماعات من أمـــراض النفـــوس وأدواء القلوب التي هي في أمس الحاجة إلى الخطيب الروحي الـــذي يـــشخص الداء ويقدم الدواء النافع، وأمراض القلوب دون شك أشد خطراً وأصعب علاجاً من أمراض الجسد، لأن أمراض الجسد أثرها على البنيان الفاني فتـــرة الحيـــاة الدنيا، أما أمراض القلوب فأثرها ممتد على الروح الباقية فترة الدنيا والآخـــرة، وحسبنا للتدليل على ذلك أن أمراض القلوب تفسد النية وتحبط العمل [٣].

كما تزداد أهمية الخطيب وتعظم مكانته باعتبار الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، والغايات التي يحرص على الوصول إليها مع جمهور مستمعيه، وهى: تأليف قلوب الناس، والدعوة إلى وحدة الصف والكلمة، والاعتـــصام بحبـــل الله المتين، والحث على التعاون بين أبناء الأمة على البر والتقوى، والترغيب فـــي فعل الطاعات وترك المنكرات، وكذا الدعوة إلى الالتزام بمكارم الأخلاق حتـــى يعم الخير وتنشر الفضيلة.

ولهذا يقول الشيخ على محفوظ – طيب الله ثراه:

---

(١) فن الخطابة للشيخ على محفوظ: ص٢٩. بتصرف.

(٢) انظر بالتفصيل: الخطابة وإعداد الخطيب للدكتور عبد الجليل شلبي ج١. ص١٢.

(٣) أضواء على الخطابة الإسلامية للدكتور عبد القادر سيد عبد الرءوف ص:٦٨ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"الأمة التي ينتشر فيها الوعاظ والخطباء تحيا بمقدار كثرتهم وتأثيرهم، وأن المعنى الذي يتناولونه في نصحهم وإرشادهم يكون أكثر انتشاراً وأشد رسوخاً في نفوس تلك الأمة، وأن الأمة إذا فرطت أو أفرطت في شيء يستعان دائماً على اعتدالها بوعاظها وخطبائها، فالواعظ الماهر والخطيب الحكيم يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة، وقاطع الحجة، وساطع البرهان، وقوة البيان أن يصحح القلوب من أمراضها، وينبه العقول من غفلتها، ويطهر النفوس من أدران النقائص والرذائل، وينير أمامها السبل الموصلة إلى الرشد حتى ترجع عن غيها، وتعود إلى حد الاعتدال، وتتحلى بالفضائل والكمال" أ.هـ(١).

وصفوة القول: أن المكانة التي يتبوأها الخطيب الداعية لا تداينها مكانة، وأن تأثيره في نفوس مستمعيه وسلطانه على قلوبهم وعقولهم لا يضارعه فيه أحد، ناهيك عن محبة الناس وثنائهم عليه، وفوق كل هذا: ما أعده الله تعالى له من جميل المثوبة وعظيم الأجر، جزاء ما يقدم لدينه وأمته في تجرد وإخلاص، وحسبه أنه من أولئك المفلحين الذين عناهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

وهو أيضاً من أولئك المجاهدين الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

---

(١) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص:٧٤، وانظر أيضاً: الخطابة وفن الإلقاء للدكتور عزت السروجى ص ٢٧، ٢٨.

(٢) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أنه أحد هؤلاء الذين أشار إليهم النبي ﷺ بقوله "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم"(١).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة في كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة أو دعا إلى هدى أو ضلالة، حـ٢، ص: ٤٦٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني

إعداد الخطيب الداعية

مما لا شك فيه أن غرس تعاليم الإسلام ونشرها في داخل محيط الأمة وخارجه، وتكوين أجيال من المسلمين يفهمون الإسلام ويعيشون بقيمه وتعاليمه، ويضحون من أجله يحتاج إلى خطباء دعاة على أعلى مستوى من المسئولية والكفاءة.. وهذا يستلزم بطبيعة الحال إعداد الخطباء على نحو خاص يؤهلهم للاضطلاع بهذه المهام الجسمية.. وذلك إنما يكون فى تصورى على النحو التالى:

أولاً: الاختيار المبكر:

يجب أن نختار الخطباء الذين يريدون العمل في مجال الخطابة والدعوة على أسس عملية سليمة، فليس كل من تزيى بالزى الديني يصلح أن يكون خطيباً، ولكن وضع الإنسان في الموضع الذي يتفق مع ميوله ورغباته أول شروط النجاح، ولنا في رسول الله ﷺ في هذا الأسوة الحسنة والمثل الأعلى، حيث اختار أبا بكر ﷺ ليخلفه في الصلاة، واختاره أيضاً ومعه عمر ﷺ للشورى، واختار أبا عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وأسامة بن زيد للحرب والقتال، واختار على بن أبى طالب ومعاذ بن جبل للحكم والقضاء، ومصعب بن عمير للدعوة إلى الله تعالى، وهكذا سائر الصحابة الذين وكل إليهم رسول الله ﷺ بأعمال متعددة وفق استعداد كل منهم إلى ما وكل إليه [1].

---

(١) انظر: دراسات فى علم الخطابة للدكتور عبد الغفار عزيز وآخرين ص: ١٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فعلينا أذن أن نختار من يريد أن يعمل في مجال الخطابة والدعوة بكامل رغبته ورضاه، ولا نلجأ إلى هؤلاء الخطباء الذين تفرض عليهم الخطابة والدعوة فرضاً.

وإنه لمن الأهمية بمكان أن يتم هذا الاختيار في سن مبكرة ليسهل إعدادهم على مراحل مختلفة، وليكونوا بعد تخرجهم على مستوى أهمية الدعوة والعمل لها.

يقول الدكتور/ توفيق الواعى: "إن معرفة الميول في الصغر شيء ليس بالهين، لأن الطفل عالم صامت، لا يحسن التعبير عن رغباته، ولا يستطيع التمييز بينها بسهولة ويسر، ومعرفة مواهبه وقدراته تحتاج إلى أخصائيين مدربين يمتازون بالذكاء والخبرة، ويتبعون نظماً مرتبة ومتعددة في الكشف عن هذه المواهب منها:

١- المشاهدة والمراقبة وترجمة ذلك إلى ميول ومواهب فمثلاً: سلامة النطق + جرأة + قدرة على اقتحام المواقف = خطيب، قائد.

٢- التقارير عن النشاطات المختلفة مثل: نشاط الإذاعة، نشاط الصحافة، نشاط الخدمة الاجتماعية، جمعية الخطابة.

٣- الاستجوابات والاستيضاحات: كحب المطالعة، والميل إلى الحديث أو الريادة، أو القدرة على التعبير، ويظهر ذلك في استطلاع الهوايات، وفى الأسئلة عمن يحبهم الطالب من الأدباء والعظماء والخطباء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- التخطيط الاجتماعي: ويشمل العلاقات الاجتماعية التي تظهر صفات الطالب من عزلة أو حب الاختلاط، ومن خفة الدم أو ثقله، أو ذكاء أو غباء، أو ألفة أو نفور.

٥- التقارير المكتوبة أو السجلات: إذ لابد من سجلات تحمل كل هذه المعلومات عن الطالب حتى يستطيع المعلم أن يرجع إليها متى شاء" أ.هـ[١].

وعلى أية حال: فإن الاختيار المبكر يتم الآن بشكل أو بآخر في عدد من الدراسات المتخصصة أو على الأقل بعد الحصول على الشهادة الثانوية، ونذكر في هذا الصدد: المدارس والمعاهد والكليات العسكرية المختلفة، وكذا كليات الشرطة والطيران والتربية الرياضة.. وغيرها.

وقد أدرك أصحاب المذاهب الوضعية وأرباب الديانات الأخرى أهمية هذا الاختيار المبكر لدعاتهم فالتزموا به بصورة جادة وحاسمة على الرغم من بطلان عقائدهم وضحالة أفكارهم.

وهذا يدفعني إلى القول في صراحة تامة بأننا كمسئولين عن إعداد الخطباء والدعاة أولى بالالتزام بهذا من غيرنا ليتم تكوين داعية الغد على أساس سليم.

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب للدكتور/ توفيق الواعي، ص: ١٠٤، ١٠٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فعلينا أذن أن نختار من يريد أن يعمل في مجال الخطابة والدعوة بكامل رغبته ورضاه، ولا نلجأ إلى هؤلاء الخطباء الذين تفرض عليهم الخطابة والدعوة فرضاً.

وإنه لمن الأهمية بمكان أن يتم هذا الاختيار في سن مبكرة ليسهل إعدادهم على مراحل مختلفة، وليكونوا بعد تخرجهم على مستوى أهمية الدعوة والعمل لها.

يقول الدكتور/ توفيق الواعى: "إن معرفة الميول في الصغر شيء ليس بالهين، لأن الطفل عالم صامت، لا يحسن التعبير عن رغباته، ولا يستطيع التمييز بينها بسهولة ويسر، ومعرفة مواهبه وقدراته تحتاج إلى أخصائيين مدربين يمتازون بالذكاء والخبرة، ويتبعون نظماً مرتبة ومتعددة في الكشف عن هذه المواهب منها:

١- المشاهدة والمراقبة وترجمة ذلك إلى ميول ومواهب فمثلاً: سلامة النطق + جرأة + قدرة على اقتحام المواقف = خطيب، قائد.

٢- التقارير عن النشاطات المختلفة مثل: نشاط الإذاعة، نشاط الصحافة، نشاط الخدمة الاجتماعية، جمعية الخطابة.

٣- الاستجوابات والاستيضاحات: كحب المطالعة، والميل إلى الحديث أو الريادة، أو القدرة على التعبير، ويظهر ذلك في استطلاع الهوايات، وفى الأسئلة عمن يحبهم الطالب من الأدباء والعظماء والخطباء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- التخطيط الاجتماعي: ويشمل العلاقات الاجتماعية التي تظهر صفات الطالب من عزلة أو حب الاختلاط، ومن خفة الدم أو ثقله، أو ذكاء أو غباء، أو ألفة أو نفور.

٥- التقارير المكتوبة أو السجلات: إذ لابد من سجلات تحمل كل هذه المعلومات عن الطالب حتى يستطيع المعلم أن يرجع إليها متى شاء" أ.هـ[١].

وعلى أية حال: فإن الاختيار المبكر يتم الآن بشكل أو بآخر في عدد من الدراسات المتخصصة أو على الأقل بعد الحصول على الشهادة الثانوية، ونذكر في هذا الصدد: المدارس والمعاهد والكليات العسكرية المختلفة، وكذا كليات الشرطة والطيران والتربية الرياضة.. وغيرها.

وقد أدرك أصحاب المذاهب الوضعية وأرباب الديانات الأخرى أهمية هذا الاختيار المبكر لدعاتهم فالتزموا به بصورة جادة وحاسمة على الرغم من بطلان عقائدهم وضحالة أفكارهم.

وهذا يدفعني إلى القول في صراحة تامة بأننا كمسئولين عن إعداد الخطباء والدعاة أولى بالالتزام بهذا من غيرنا ليتم تكوين داعية الغد على أساس سليم.

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب للدكتور/ توفيق الواعي، ص: ١٠٤، ١٠٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً: تعليم من تم اختيارهم لمجال الدعوة والخطابة:

وفى هذا الصدد يقترح بعض الباحثين إنشاء مدارس متوسطة وثانوية للدعاة على غرار المدارس الصناعية ومدارس المعلمين والمعلمات، وأن يوجه الطلاب في هذه المدارس الوجهة الصحيحة في الثقافة والإطلاع والتدريب.

ويكون لتلك المدارس برامج معدة تأخذ في الاعتبار لغة العصر الذي نعيش فيه، والمذاهب المختلفة التي تجرى مجرى الهواء، والتدريب على فن الدعوة والتأثير في الناس ومراعاة الميول والعادات والتقاليد.

كما يجب أن يلاحظ الدعاة الخطباء خلقياً وعلمياً واجتماعياً، ومن الممكن أن يستعمل في هذا النظام نظام السكن الداخلي، ونظام المشرفين الجيدين، ويتدرج الطالب من هذه المدارس إلى كليات الدعوة [١].

وفى كليات الدعوة يجب أن تكون الدراسة امتداداً لما تم تدريسه في المدارس المتوسطة والثانوية من حيث الهدف والغاية مع تميزها بالعمق والتحليل والمقارنة، وإجراء البحوث الميدانية والعلمية [٢].

ثالثاً: دراسة اللغات الأجنبية:

تعتبر دراسة اللغات الأجنبية من أهم المواد اللازمة للخطيب الداعية في العصر الحديث، لأن أغلب من توجه إليهم الدعوة من غير العرب، كما أن العديد من المؤلفات التي كتبت عن الإسلام بصورة إيجابية أو سلبية هي بغير اللغة العربية، وحتى يمكن قراءة كل ما يقال عن الإسلام، ومن أجل تبليغ الإسلام

---

(١) المرجع السابق ص: ١١٠ - بتصرف يسير.

(٢) قواعد علم الخطابة للدكتور/ أحمد غلوش ص: ٢٤٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لجميع الناس يجب إحاطة الدعاة بصورة تامة بلغات من سيدعونهم، وهذا واجب بدهي، لأن مصادر الإسلام نزلت بلغة عربية، وحفظها الله للناس كما أنزلها على رسوله محمد ﷺ وألزم المؤمنين تبليغ الإسلام على وجه بيّن واضح، ولا يتم ذلك إلا باتحاد اللغة بين الداعية والمدعوين، أيا كانت هذه اللغة، ولهذا المعنى أرسل الله رسله السابقين إلى أقوامهم بلسانهم حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١). (٢).

ومهما يكن من أمر فإنه تحقيقاً لعالمية الإسلام يجب على دعاة المسلمين أن يهتموا بدراسة اللغات الأجنبية أيما اهتمام حتى يتسنى لهم تبليغ دعوة الله تعالى إلى العالمين، وقد أشار النبي الأكرم ﷺ إلى هذا الواجب بما فعله مع الصحابي الجليل زيد بن ثابت ﷺ عنه حيث قال له: "يا زيد أتحسن السريانية؟ إنها تأتيني كتب بها. قال زيد: لا قال ﷺ: تعلمها. يقول زيد ﷺ: فتعلمتها في سبعة عشر يوماً"(٣).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن بعض المؤسسات الدينية الكبرى في مصر قد اتخذت خطوات عملية جادة في هذه المسألة إيماناً منها بأهميتها القصوى، فهذه وزارة الأوقاف المصرية قد فتحت أبوابها للطلاب النابهين من خريجي كلية اللغات والترجمة بكل أقسامها

---

(١) الآية ٤ من سورة إبراهيم.

(٢) قواعد علم الخطابة للدكتور/ أحمد غلوش ص٢٤٨.

(٣) أخرجه ابن حبان فى صحيحه فى كتاب "الاستئذان عن رسول الله -ﷺ-" باب "ذكر زيد بن ثابت الأنصارى" جـ١٦، ص٨٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للانضمام إلى حقل الدعوة والعمل مع بقية الدعاة كأئمة وعلماء في مختلف مساجد مصر وذلك تمهيداً للاستفادة بهم – بعد تحصيل الخبرة العلمية والدعوية اللازمة – في نشر الإسلام وبيان حقائقه والدفاع عنه في شتى بقاع الأرض، وهذا عمل عظيم يستحق كل تقدير ومساندة.

– وهذه جامعة الأزهر تفتتح ولأول مرة في هذا العام (١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧/٢٠٠٨م) مركزاً عالمياً لتعليم اللغة الإنجليزية لأعضاء هيئة التدريس والطلاب مجاناً[١].

وقد انضم إلى هذا المركز بالفعل عدد من أعضاء هيئة التدريس من مختلف الكليات للدراسة به، وعلى رأسهم كوكبة من أساتذة كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة.

وحول فكرة إنشاء هذا المركز الجديد وأهميته يقول فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: "إن افتتاح المركز يأتي مواكباً لحركة التطور العلمي والثقافي الذي يشهده العالم: وإن دراسة اللغات من شأنها أن يعمق ويوسع الفهم الصحيح الذي من خلاله يتأتى لنا فهم الآخر والتحاور معه بوسطية واعتدال"[٢].

ولعل هناك خطوات أخرى على المدى القريب – في هذا الصدد – بمشيئة الله تعالى.

---

(١) جريدة صوت الأزهر. العدد رقم ٤٢٨. الصادر بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٧م.

(٢) انظر: جريدة صوت الأزهر العدد السابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رابعاً: رعاية الخطيب مادياً ومعنوياً:

من المسلم به الآن أننا نعيش عصر التخصصات، بل والتخصصات الدقيقة، والدعوة إلى الله تعالى ليست بأقل من أي مجال آخر، بل هي في مقدمة المجالات كلها أهمية ومكانة، ومن هذا المنطلق فإنها في حاجة ماسة إلى دعاة وخطباء يتفرغون لها تفرغاً كاملاً للقيام بأعبائها ومسئولياتها على الوجه المنشود، وهذا يتطلب من المسئولين وولاة الأمور في بلادنا الرعاية الكاملة للدعاة مادياً ومعنوياً.

فعلى الصعيد المادي: ينبغي أن تكفل الدولة للخطيب الداعية ولأسرته حياة كريمة؛ من مأكل ومشرب، وملبس، وسكن، وكتاب، وسيارة وكمبيوتر، وغير ذلك مما لا غنى عنه.

وفى هذا الإطار أقول: ماذا علينا لو أننا قمنا بتعيين الخطباء على كادر خاص أسوة برجال القضاء وأساتذة الجامعات ومن في مستواهم، خاصة وأنهم بحكم مسئولياتهم الدينية والدعوية، ومكانتهم الاجتماعية لا يمكنهم مزاولة أي عمل إضافي آخر مثل غيرهم.

أنني أحلم – كخطيب وداعية – قبل أن أكون عضواً بهيئة التدريس بالجامعة ويجلم معي كل الدعاة باليوم الذي يتحقق فيه هذا الأمل الكبير ليظهر الدعاة إلى الله في مجتمعاتهم بالصورة اللائقة بهم، وليس ذلك على الله بعزيز.

وأما على الصعيد المعنوي: فلابد أن نعطى للخطباء والدعاة قدرهم الذي يستحقونه، وننزلهم المنزلة اللائقة بهم وبرسالتهم، باعتبارهم ورثة الأنبياء، والعلماء الذين ائتمنهم الله على شرعة ودينه، وهذا لا يتحقق إلا إذا تضافرت كل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الأول

المقومات العلمية للخطيب الداعية

إن الخطيب الداعية يقف من جمهوره موقف المعلم والأستاذ، فهو يعلمهم ما يجهلون، ويرشدهم إلى ما يحتاجون، وينبههم إلى ما هم عنه غافلون، وهـذا بطبيعة الحال لا يتأتى للخطيب من فراغ، إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه، وإنما لابد أن تتوفر فيه عدة عوامل ومقومات علمية تؤهله للقيام بمهمتـه علـى الوجـه المنشود؛ ومن أهم هذه المقومات ما يلي:

أولاً: الاهتمام بالثقافة وكثرة الإطلاع:

لابد للخطيب أن يتزود بقدر كبير من العلم والثقافة التي تعينه على أداء رسالته، وتكسبه وعياً عميقاً بمشكلات مجتمعه، وقضايا عصره، وبالواقع المحيط به من جميع نواحيه الجغرافيـة، والتاريخيـة، والاجتماعيـة، والاقتـصادية، والسياسية، إذ بقدر سعة ثقافته يكون نجاحه في أداء مهمته، وتأثيره فيمن حوله.

يقول الدكتور/ طلعت عفيفي:" إن مجال الخطابة واسـع، وموضـوعاتها لا تقتصر على جانب دون آخر، فهي تتناول جميع الشئون الدينية والدنيوية، ولا يتيـسر ذلك دون أن يتمتع الخطيب بثقافة عالية بحيث يقنع كافة مستمعيه، ويدخل بذلك إلـى قلوبهم. ولأجل ذلك وجب على من يتولى مهمة الخطابة أن يتقن عمله، وذلك بكثـرة الإطلاع، وسعة المعرفة، وجودة الإعداد لما هو بصدد الحديث عنه،ولا يفضح نفـسه بسطحية معلوماته أمام جمهور المصلين الذين قد يوجد من بينهم الطبيـب والمهنـدس والكيميائي وغيرهم من فئات المجتمع، ولن يحظى الخطيب باحترام هؤلاء وغيـرهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا إذا شعروا بتفوقه، سواء فيما يعطيهم من معلومات أو ما يتصف به من أخلاق" أ.هـ[1]

وفيما يلي أهم المعارف التي يجب على الخطيب المسلم أن يتزود بها:

١- القرآن الكريم وتفسيره:

وذلك لأن القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام وبالتالي للثقافة الإسلامية، ومن هنا وجب على الخطيب حفظه، وتعهده بالتلاوة والتدبر لأنه الأساس الذي يبنى عليه الخطيب معارفه، ويستشهد بآياته في خطبة ودروسه ولم لا؟ وكل تعاليم الإسلام ترجع في أصولها إلى القرآن: العقائد، والقيم، والعبادات، والشعائر، والأخلاق، والآداب، والقوانين، والشرائع.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2] أي أعدل وأعلى في العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع الأمور[3].

كما يجب على الخطيب أن يدرس تفسيره، ويقف على أسباب نزوله، ويتعرف على أحكامه، ويستحضر أوامره ونواهيه.

ويستحسن ألا يقتصر الخطيب الداعية على تفسير واحد، لأن كل مفسر اهتم في تفسيره بجانب معين من جوانب العلم المختلفة، ولذلك هناك ما يسمى التفسير بالمأثور وهو تفسير القرآن بما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة

---

(١) إعداد الخطيب بين الموهبة والتدريب للدكتور/ طلعت محمد عفيفي ص: ٢٤، ٢٥.

(٢) في الآية ٩ من سورة الإسراء.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٤٣٢، ٤٣٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثابت الصحيح بياناً لمراد الله تعالى من كلامه، ومن أشهر كتبه "جامع البيان في تفسير القرآن للإمام الطبرى" و "معالم التنزيل للبغوى"، و "تفسير القرآن العظيم لابن كثير" وغير ذلك من الكتب.

وهناك التفسير الصوفي، ويسميه البعض بالتفسير الرمزي، وأصحابه هذا التفسير في المقام الأول هم الصوفية، ومن أشهر كتبه "تفسير القرآن العظيم للتستري"، و"عرائس البيان في حقائق القرآن للشيرازي".

وهناك التفسير الفقهي مثل: "أحكام القرآن للجصاص" فى المذهب الحنفى، و"الجامع لأحكام القرآن للقرطبي" في المذهب المالكي.

وهناك التفسير العلمي والذي يعنى ببيان الحقائق العلمية التي تضمنتها بعض آيات القرآن الكريم وأيدتها البحوث العلمية الحديثة.

وهناك التفسير الاجتماعي والذي يهتم ببيان أن الإسلام دين ودنيا، وأن الشريعة الإسلامية هي وحدها الصالحة لكل زمان ومكان، وأن أمن البشرية وسعادتها لا توجد إلا في هذه الشريعة، وعلى رأس هذه المدرسة مدرسة الإمام محمد عبده، وتلميذاه محمد رشيد رضا، ومحمد مصطفى المراغي، ومن أشهر التفاسير هنا: تفسير المنار للشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى.

كما أن هناك التفسير الأدبي ومن أبرز نماذجه: "في ظلال القرآن" للشيخ سيد قطب رحمه الله، وفيه يهتم بالتصوير الفني للقرآن الكريم [1].

---

(١) انظر: خطبة الجمعة: أصولها العلمية ودورها في توجيه الرأي العام، للدكتور/ عبد الباسط السيد مرسى، ص: ٨٢ – ٨٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومهما يكن من أمر فإنه مما ينبغي أن يلتفت إليه الخطيب في مجال القرآن وتفسيره ما يلي:

أ- جمع الآيات القرآنية في الموضوع الواحد وتصنيفها.

ب- العناية بالقصص القرآني.

ج- حسن الاستدلال بآيات القرآن الكريم [1].

د- الاهتمام بلباب التفسير: ونعنى بهذا: الإعراض عن الحشو والفضول والاستطراد الذي تمتلئ به كتب التفسير مثل الاستغراق في المباحث اللفظية والمسائل النحوية والنكات البلاغية، والإطالة في المجالات الكلامية والخلافات الفقهية، وغير ذلك من ألوان الثقافات التي شغلت حيزاً ضخماً من كتب التفسير حتى حجبت قارئها عن إدراك أسرار كلام الله تعالى، وهو الذي ألفت كتب التفسير من أجله [2].

ه- الابتعاد عن الإسرائيليات [3] التي تسربت إلى تراثنا الثقافي فشوهته وعكرت صفوه، وكذا الحذر من الروايات الموضوعة والضعيفة التي تنسب إلى بعض الصحابة أو التابعين وليس لها سند صحيح، وقد وجدت هذه الروايات في بعض كتب التفسير فكانت في خطورتها تشبه إلى حد بعيد الإسرائيليات المدسوسة على الإسلام والمسلمين.

---

(١) انظر: ثقافة الداعية للدكتور/ يوسف القرضاوي ص: ٢١ وما بعدها.

(٢) محاضرات في الخطابة للدكتور/ محمود حماية ص: ٢٣٧.

(٣) انظر في هذا الصدد: ما ذُكر في بعض كتب التفسير عن مرض نبي الله أيوب عليه السلام وكذا قصة الغرانيق وغير ذلك من الأخبار المختلفة والروايات المكذوبة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و- الحذر من الأقوال الضعيفة والآراء الفاسدة: وهذه الأقوال قد تكون صحيحة في نسبتها إلى قائليها من جهة الرواية، ولكنها سقيمة أو مردودة في جوهرها ومضمونها، وليس هذا بمستغرب ما دامت صادرة من غير معصوم، فكل بشر يخطئ ويصيب، وهو معذور في خطئه، بل قد يكون مأجوراً أجراً واحداً إذا كان قوله بعد تحرٍ واجتهاد، واستفراغ للوسع في طلب الحق.

- وقد رأينا شيخ المفسرين الإمام الطبري - على علو قدره ومنزلة كتابه في التفسير - يختار أحياناً تأويلات ضعيفة، بل هي في غاية الضعف، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ (١) بأن معناها: قيدوهن: من هجر البعير إذا شده بالهجار، وهو القيد الذي قيد به، والمراد: تقييد النساء لإكراههن على ما تمنعن عنه(٢).

وصفوة القول أنه من الأهمية بمكان أن يتجنب الخطيب الداعية في كلامه الضعيف من الأقوال والتأويلات أياً كان قائلها، وأياً كانت منزلته، فالعبرة بالحق لا بالأشخاص والألقاب.

٢- السنة النبوية المطهرة:

ونعنى بالسنة كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أوصفة خلقيه أو خلقية أو سيرة.

---

(١) في الآية: ٣٤ من سورة النساء.

(٢) محاضرات في الخطابة للدكتور/ محمود حماية ص: ٢٤٠، ٢٤١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهى المصدر الثاني للخطيب الداعية بعد القرآن الكريم، وهى شارحة للقرآن ومبنية له، ومفصلة لما أجمل منه، كما أنها نفحات قدسية، وتوجيهات ربانية، وتجليات إلهية لفهم القرآن وتوجيهه في الحياة ليعمل عمله في آلاء الكون وسنن الاجتماع، وعلل النفوس، ومشكلات الحياة، وضروب الإصلاح، وسياسة الأمم، ورسم الطريق المستقيم.

كما أنها ينبوع بل ينابيع الخلق والمثل ومكارم الأخلاق التي تتزود منها الإنسانية طول فترة بقائها على وجه هذه المعمورة وإلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهى كذلك أساليب للتربية، وخطوات للتوجيه، وخطة لخلق الكفاءات وتنشئة الكوادر والرجال، كما نرى هذا في ذلك الجيل الذي أخرجه وعلمه رسول الله ﷺ وأشاد به القرآن في غير موضع.

كما أن السنة المطهرة منهل للعلم النافع والفكر الصائب، والزاد الطاهر، كما أنها أساس البلاغة ومجمع الحكمة، وشمس الفصاحة، ونور البيان، وصبح الحجة، لم يسمع الناس بكلام قاله بشر قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً من كلامه ﷺ[1].

هذا والسنة – ولله الحمد والمنه– مدونة محفوظة وممحصة، وقد قيض الله لها رجالاً عظماء قاموا على صيانتها وكتابتها والذود عنها.

وواجب الخطيب أن ينهل من مصادرها الموثوق بها ما يحتاج إليه في خطبه ودعوته، ومن هذه المصادر الكتب الستة؛ "البخاري، ومسلم، وسنن أبي

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب للدكتور/ توفيق الواعي ص ١٢٧ – ١٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرابع: أن العلماء الذين أجازوا العمل بالضعيف في مثل الترغيب والترهيب لم يفتحوا الباب على مصراعيه لكل ضعيف، وإنما اشترطوا لذلك شروطاً ثلاثة:

أ- ألا يكون الحديث شديد الضعف، فيحرم بالإجماع رواية الضعيف الساقط، وما لا أصل له فضلاً عن الموضوع.

ب- أن يندرج تحت أصل شرعي معمول به، ثابت بالقرآن أو السنة الصحيحة.

ج- ألا يعتقد عند العمل به ثبوته عن النبي ﷺ بل يعتقد الاحتياط. أ. هـ[1].

وهكذا وضع العلماء بكل الدقة الضوابط التي ينبغي مراعاتها عند الاستشهاد بالحديث الضعيف فضلاً عن الضابط الأساسي، وهو أن يكون الاستشهاد به في فضائل الأعمال ونحوها مما لا يترتب عليه حكم شرعي.

٣- السيرة النبوية:

تعد السيرة النبوية العطرة هي الجانب العلمي والتطبيقي لكل ما قاله النبي ﷺ لأصحابه، وأرشد إليه أمته، بل هي ترجمة واقعية شاملة لحياته صلوات الله عليه في كل جوانبها، ولذلك فهي تعد في مجال الدعوة إلى الله تعالى أشد تأثيراً من الجانب القولي، حيث يرى الناس فيها مع التوجيه النظري النموذج الحي، والصورة الواقعية المثلى التي تجسد قيم الإسلام وتعاليمه.

---

(١) محاضرات في الخطابة للدكتور/ محمود حماية ص: ٢٤٨ - ٢٥٠ بتصرف يسير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولست أجد في هذا الصدد أجمل ولا أروع ولا أوعى ولا أعمق من قول أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها - حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ "فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن".(١)

ومن هذا المنطلق فإن الإطلاع على السيرة النبوية ضرورة لازمة لكل خطيب وداعية لأنها تفيده فيما يلي:

أ- تأصيل مبدأ القدوة في نفوس المسلمين، فالسيرة النبوية عرض شامل لما كان عليه النبي ﷺ من صفات كريمة وأخلاق نبيلة، وشمائل عظيمة.

ب- تساعد السيرة العطرة الخطباء والدعاة، وكل من يعمل في حقل الدعوة على فهم كثير من آيات القرآن الكريم، لأنها معين فياض، ونهر عذب رقراق؛ يشرح الكثير من أحكام القرآن المتعلقة بالسلم والحرب.

ج- تعتبر السيرة مصدراً رئيساً للروايات الصحيحة والقصص الجميل الذي تشتاق إليه النفوس، وتنجذب إليه القلوب، ولم لا؟ وهو يتعلق بحياة أكرم مخلوق في الوجود، وهو النبي ﷺ كما يتعلق بحياة أصحابه وهم صفوة هذه الأمة وخلاصتها ديناً وخلقاً، وفكراً وسلوكاً (٢).

هذا وقد دونت السيرة العطرة في مجلدات مطولة ومختصرة منها على سبيل المثال:

- البداية والنهاية لابن كثير – المتوفى سنة ٤٧٧هـ.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: "المساجد ومواضع الصلاة"، باب "جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض". ج١. ص ٢٩٩.

(٢) خطبة الجمعة للدكتور/ عبد الباسط السيد مرسى ص: ٩٦. بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- سيرة ابن هشام لأبى محمد عبد الملك بن هشام – المتوفى سنة ٢١٣هـ.
- السيرة الحلبية، والطبقات الكبرى لابن سعد، إلى غير ذلك من الكتب.

كما أن هناك مختصرات مفيدة للسيرة لا غنى عنها للخطيب المعاصر أبداً منها: خاتم النبيين للإمام أبى زهرة، وفقه السيرة للشيخ محمد الغزالي السقا، وفقه السيرة أيضاً للدكتور/ محمد سعيد البوطي، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري، والسيرة النبوية. عبر وعظات للدكتور مصطفى السباعي.

- وهناك كتب الشمائل النبوية مثل: الشمائل المحمدية للترمذي، وزاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم، ودلائل النبوة للبيهقي، وهى تُعنى بما ظهر على يديه ﷺ من الخوارق والآيات.

٤- الفقـــــــــــــــه:

لابد للخطيب الداعية من الإلمام بقدر مناسب من الثقافة الفقهية، بحيث يكون على دراية كافية بالأحكام الشرعية المتعلقة بشتى العبادات والمعاملات والآداب، وذلك مهم للغاية حتى يتسنى له أن يجيب سائليه عن الحلال والحرام في شئون العبادة والعمل والأسرة؛ من زواج وطلاق وميراث، وغير ذلك مما يكثر السؤال عنه، ويتطلع الناس فيه إلى الفتوى، فإن أهمل الخطيب الداعية في هذا الجانب اضطر إلى السكوت أو الهروب، وتلك مصيبة، لأنه عندئذ تهتز شخصيته، ويضعف تأثيره، بل قد يفقد الناس الثقة فيه فينصرفون عنه وعن دعوته، وقد يضطر إلى الإفتاء بغير علم، وتلك مصيبة أعظم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رءوساً جُهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**" (١).

- هذا وهناك مراجع فقهية كثيرة يمكن للخطيب الرجوع إليها، لينهل منها قدر طاقته، ومن أهم هذه المراجع ما يلي:

- المغنى لابن قدامه.

- الأم للشافعي.

- المجمع النووي للشافعى.

- الاستذكار لابن عبد الله المالكي.

- المحلى لابن حزم الظاهري، والبدائع، وكلاهما في الفقه الحنفي.

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد، وهو على المذاهب الأربعة.

- الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري، وكذا طبعة وزارة الأوقاف المؤلفة من علماء الأزهر.

- الفتاوى لابن تيمية.

- فقه السنة للشيخ سيد سابق.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: "العلم" باب "كيف يُقبض العلم" م١ جـ١ ص:٣٢ كما أخرجه مسلم في كتاب "العلم" باب "رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان" جـ٢ ص٤٦٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك الحلال والحرام، وفقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوي، وغير ذلك من كتب الفقه القديمة والحديثة.

- وعلى الخطيب في مسائل الفقه وقضاياه مراعاة ما يلي:-

أ- أن يحرص على ربط الأحكام بأدلتها من القرآن والسنة، فلا فقه بلا دليل، ولأن الدليل يكسو الحكم أو الفتوى نوراً وجمالاً.

ب- إذا كان الداعية ملتزماً بمذهب معين من المذاهب الفقهية فلا مانع من تركه في بعض المسائل التي يشعر بضعف أدلتها إلى مذهب آخر يرى أنه أسعف بالدليل من مذهبه.

ج- يحسن بالداعية الخطيب أن يتعرف على المذاهب الأخرى وبخاصة التي يتبعها بعض من يدعوهم ليصل إليهم من أقرب طريق.

د- ينبغي على الخطيب أن يقتدي بالقرآن والسنة في تعليل الأحكام، وبيان حكمها وثمراتها في الأنفس والحياة، وربطها بالفلسفة العامة للإسلام حتى تقع في النفس موقع القبول (١).

ه- كما ينبغي أن يتجنب سرد الآراء والخلافات الفقهية خاصة وسط العوام حتى لا يشتت أذهانهم، ويجعلهم في حيرة من أمرهم فلا يدرون بأي الآراء يأخذون، وإذا حدث أنه عرض لبعض الآراء والمذاهب في مسألة وجب عليه أن يتخير أيسرها وأقربها لظروفهم وأحوالهم، وأن يوضح لهم أن اختلاف الأئمة فيما بينهم رحمة.

---

(١) انظر: ثقافة الداعية للدكتور/ يوسف القرضاوي ص: ٨١ – ٨٣ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- العقيدة الإسلامية:

ودراسة العقيدة الإسلامية أمر في غاية الأهمية للخطيب الداعية، لأن العقيدة هي جوهر رسالته، ومحور دعوته، وهى كذلك الأصل الذي منه تنبع كل أصول الإسلام وفرائضه، وهى الأساس الذي تنبني عليه كل تعاليم الدين وأحكامه وقيمه وآدابه.

ومن جانب آخر فإن دراسة العقيدة دراسة واعية متعمقة تمكن الداعية من مواجهة كل المذاهب الهدامة، والنحل الفاسدة، والعقائد الباطلة التي تطفو على السطح من وقت لآخر هنا أو هناك، وتجعله مؤهلاً لتفنيدها، وإثبات زيفها وبطلانها بالحجج الباهرة والأدلة الدامغة، وفى ذلك بلا شك حماية لعقيدة الأمة، وصيانة لدينها وتراثها في وقت علت فيه أصوات الباطل شرقاً وغرباً للنيل من الإسلام وأهله.

ولا أقصد بدراسة العقيدة هنا دراسة المنظومات التي كتبها علماء التوحيد أو علماء الكلام مثل العقائد النسفية وما يتبعها من شروح وحواش، ولا دراسة المطولات الكلامية المعقدة مثل شرح المقاصد للتفتازاني، أو شرح المواقف لعضد الدين الإيجي وما شابهه، أو غير ذلك من الكتب المطولة في علم الفلسفة أو علم الكلام لصعوبة هذه المراجع على العقل المعاصر، ولما تثيره من مشكلات فكرية لا يقوى على فهمها والتعمق فيها إلا المتخصصون في هذا الجانب.

ومهما يكن من أمر فإنه يجب على الخطيب الناجح أن يراعى في دراسة العقيدة ما يلي:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أ- أن يكون كتاب الله تعالى وما يبينه من صحيح السنة هو مصدر العقيدة ومنبعها لتبقى على صفائها ونقائها وبساطتها.

ب- أن يتبع منهج القرآن في مخاطبة العقل والقلب معاً من أجل تكوين الإيمان الصحيح، وذلك لشمول المنهج الإسلامي الذي يقوم الإيمان فيه على اقتناع العقل، وانفعال القلب، وصدق الإرادة.

ج- الاهتمام بأدلة القرآن التي ذكرها لإثبات عقيدته، وإقناع مدعويه، والرد على خصومه، وتفنيد ما يثيرونه من شبهات، وكذلك أدلته على التوحيد وعلى البعث وعلى نبوة سيدنا رسول الله محمد ﷺ وكلها أدلة عقلية برهانيه صحيحة، وليست خطابية كما وهم بعض المتكلمين.

د- صرف الهمة إلى مشكلات العقل المعاصر، والاشتغال بقضايا العقيدة الكبرى مثل وجود الله تعالى وتوحيده، والنبوة، والدار الآخرة، والقدر، أما المشكلات التاريخية مثل خلق القرآن، والصفات، وعلاقتها بالذات، وهل هي عين أم غير، أم هي لا عين ولا غير، إلى غير ذلك من الأمور المختلف فيها، والتي لا تخدم منهج الدعوة، فينبغي عدم الخوض فيها حتى لا يشتت أذهان العامة.

ه- الاستفادة من ثقافة العصر وخصوصاً في ميادين العلوم البحتة كالفلك، والطب، والفيزياء، وغيرها لتأييد قضايا العقيدة وتثبيتها، ومن ذلك كتاب: العلم يدعو إلى الإيمان للدكتور/ كريسي موريسون، وكتاب: الله يتجلى في عصر العلم لمجموعة من العلماء الأمريكان، والإسلام يتحدى لوحيد الدين خان، والله والعلم الحديث للدكتور/ عبد الرازق نوفل وغيرها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و- تتبع شبهات المنصرين والمستشرقين وغيرهم ممن يناصبون الإسلام العداء، والرد عليها بلغة العصر الذي نعيشه [1].

وفى هذا المضمار ننصح الخطيب الداعية بقراءة الكتب التالية:

- شرح العقيدة الطحاوية.
- عقيدة المؤمن للشيخ أبى بكر الجزائري.
- العقائد الإسلامية للشيخ السيد سابق.
- الإيمان والحياة للدكتور/ يوسف القرضاوي.
- الله جل جلاله للشيخ سعيد حوى.
- عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي السقا.
- مبادئ الإسلام للشيخ أبى الأعلى المودودي.
- نظام الإسلام: العقيدة والعبادة محمد المبارك وغيرها.

٦- اللغة العربية وآدابها:

الخطيب الناجح والداعية المرموق لا يستغنى أبداً عن الثقافة اللغوية لصحة الأداء، وتقويم اللسان، واستقامة الفهم، فضلاً عن حسن أثرها في السامع، لأن الأخطاء اللغوية -إن لم تحرف المعنى وتشوه المراد - يمجها الطبع، وينفر منها السمع، وكثيراً ما يؤدى اللحن إلى إفساد المعنى، وإخراجه إلى ما يناقض الشرع والعقل: وشر ما يكون ذلك إذا كان اللحن في كتاب الله ﷻ.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٤ بتصرف واختصار.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك لا غنى للخطيب عن الأدب؛ بشعره ونثره، وأمثاله، وحكمه، ووصاياه، وخطبه، ليثقف به لسانه، ويجود أسلوبه، ويرهف حسه، ويقف على أبواب من العبارات اللائقة، والأساليب الفائقة، والصور المعبرة، والأمثال السائرة،

والحكم البالغة، ويضع يده على مئات بل ألوف من الشواهد البليغة التي يستخدمها الداعية في محلها، فتقع في القلوب أحسن موقع وأبلغه[1].

وبالجملة فإن الخطيب إذا أراد أن ينهض بلغته وأسلوبه لابد له من الالتزام بما يلي:

أ- المداومة على تلاوة القرآن الكريم – في تؤدة وروية – للتدريب بصورة عملية على إخراج الحروف من مخارجها، وإعطاء كل حرف حقه ومستحقه.

ب- الإطلاع على قواعد اللغة العربية وتطبيقاتها، ولا نعني بها أن يصرف الخطيب كل وقته وجهده في معرفة كل القواعد، بل يكفيه منها ما يعينه على أداء رسالته على الوجه الذي يجنبه اللحن والخطأ.

ج- كتابة الخطبة أو المحاضرة أو الدرس قبل إلقائه، ومعاودة القراءة – على نحو صحيح – مرة تلو الأخرى، فإن ذلك يجنب الخطيب الزلل، ولا سيما إذا كان مبتدئاً في الخطابة، أما إذا كان متمرساً فيكفيه القراءة المتأنية في أكثر من كتاب.

---

(١) انظر: الخطابة بين النظرية والتطبيق، للدكتور/ محمود عمارة، ص٦٠، ٦١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د- قراءة دواوين الشعراء، ومطالعة ما سجل بها خاصة ما يتعلق منها بموضوعات خطبه، وحبذا لو حفظ لكل خطبة أبياتاً من الشعر، فإنه يرقق القلوب، ويهز المشاعر والوجدان.

ه- الإكثار من الاستماع إلى الدعاة المخلصين، والخطباء المفوهين ولو من خلال بعض الشرائط المسجلة، فإن ذلك مما يقوم لسان الخطيب، ويجود أسلوبه، ويكسبه ثروة هائلة من الألفاظ والمعاني والتراكيب[1].

وأخيراً فإن طلاقة اللسان، وحسن البيان، وجودة التعبير من ألزم صفات ومقومات الداعية الناجح ليكون على المستوى المطلوب خاصة عند مواجهة أهل العلم والثقافة بخطبه ودروسه ومحاضراته.

ومن الكتب المهمة التي يمكن الرجوع إليها في مجال اللغة العربية وآدابها ما يلي:

بالنسبة للنحو والقواعد يمكن الرجوع إلى: القواعد الأساسية في النحو والصرف، وشرح ابن عقيل، والنحو المصفى، والنحو الواضح، بالإضافة إلى معاجم اللغة المختلفة.

أما بالنسبة للبلاغة فيمكن الرجوع إلى: إعجاز القرآن للباقلاني، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، والبيان والتبيين للجاحظ، ودلائل الإعجاز للجرجاني، ومن بلاغة القرآن الكريم للدكتور/ أحمد بدوى، والتصوير الفني في القرآن للشيخ/ سيد قطب "رحمه الله".

---

(١) انظر: خطبة الجمعة، للدكتور/ عبد الباسط السيد مرسى ص ١١٢، ١١٣. بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأما بالنسبة لكتب الأدب والشعر فيمكنه الرجوع إلى: الأغاني للأصفهاني، والحيوان للجاحظ، وخزانة الأدب للبغدادي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والكامل في اللغة والأدب لأبى عباس المبرد، وكذا: الإسلام والشعر ليحيى الجبوري، وديوان كعب بن زهير، وديوان الإمام الشافعى، وغير ذلك.

٧- الثقافة التاريخية:

ومن الثقافة اللازمة لمن نصب نفسه للخطابة والدعوة: الثقافة التاريخية، لأن التاريخ هو ذاكرة البشرية، وسجل أحداثها، وديوان عبرها، والشاهد العدل لها أو عليها.

ويهمنا في ذلك تاريخ الإسلام والمسلمين بصفة خاصة، وتاريخ الإنسانية بصفة عامة، أعنى المواقف الحاسمة منه، والملامح الرئيسية فيه، وإنما يحتاج الداعية إلى التاريخ لعدة أمور منها:

أ- أنه يوسع آفاقه، ويطلعه على أحوال الأمم، وتاريخ الرجال، وتقلبات الأيام، بل من خلاله يستطيع الخطيب الداعية أن يرى بعين بصيرته كيف تعمل سنة الله في المجتمعات بلا محاباة ولا جور، وكيف ترقى الأمم وتهبط وكيف تقوم الدول وتسقط؟ وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم؟ وكيف تحيا الحضارات وتموت؟

يقول القرآن: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(١).

---

(١) الآية ٤٦ من سورة الحج.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب- إن التاريخ أصدق شاهد على أصالة ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم، فهو مرآة مصقولة تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى، ونهاية الكفر والفجور، وجزاء الشاكرين لنعمة الله وعقوبة الكافرين بها، وكيف يجنى من يغرس الخير، ويحصد من يزرع الشوك.

ولهذا عنى القرآن الكريم بذكر قصص السابقين وتاريخ الغابرين لما فيه من عبر بليغة وعظات حية، كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(١).

ج- إن التاريخ كثيراً ما يعين على فهم الواقع الماثل، ولا سيما إذا تماثلت الظروف، وتشابهت الدوافع، وهذا ما جعل الغربيين يقولون: التاريخ يعيد نفسه، بل القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى، وذلك في مثل قوله عن المشركين وطلبهم الآيات الكونية من رسول الله ﷺ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(٢).

ومهما يكن من أمر فإن التاريخ يمثل ثروة هائلة من الوقائع والأحداث، وما على الخطيب الداعية إلا أن يقف أمامها بوعي يقظ، وعين فاحصة، وبصيرة نافذة ليلتمس فيها مواطن العبرة والعظة، وليتخير منها ما يخدم موضوعه، ويعمق فكرته، ويربط حاضر الناس بماضيهم.

---

(١) الآيتان ٣٦، ٣٧ من سورة ق.

(٢) الآية ١١٨ من سورة البقرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا وهناك – فوق كل ما ذكرت – علوم أخرى كثيرة ينبغي على الخطيب الداعية أن يلم بها لأنها وثيقة الصلة بمهمته ورسالته، كما أنها وثيقة الصلة بمن يدعوهم في أي مكان، ومن ذلك إلمامه بطرف من علم النفس، والاجتماع، والمنطق، والفلسفة، والتربية، وغير ذلك من العلوم الإنسانية الأخرى التي تعينه على فهم داءات النفوس وعلل المجتمعات وكيفية معالجتها بأفضل الطرق والوسائل.

ومن أهم الكتب التي يمكن للداعية الرجوع إليها في هذا المضمار ما يلي:

- ميادين علم النفس للدكتور/ يوسف مراد.
- علم النفس للدكتور/ محمود بركات.
- علم النفس الإسلامي للدكتور/ يوسف عيد.
- المدخل إلى المدرسة الإسلامية في علم الاجتماع للدكتور/ مصطفى محمد حسنين.
- المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية للأستاذ/ عمر عودة.
- الإسلام وبناء المجتمع للدكتور/ أحمد العسال.
- قضايا في الاجتماع الإسلامي المعاصر للدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي.
- الإسلام وتنظيم المجتمع للإمام/ محمد أبى زهزة.
- الفلسفة الخلقية للدكتور/ توفيق الطويل.
- المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة الدكتور/ عبد الحليم محمود، والأستاذ/ أبو بكر زكري.
- مباحث في فلسفة الأخلاق للدكتور/ محمد يوسف موسى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- دستور الأخلاق للدكتور/ عبد الله دراز.

كما أن عليه أن يتعرف على عقائد الآخرين – ولو على سبيل الإجمال – ليبرز جمال الإسلام، ويدفع الشبه التي تثار ضده، وأن يكون على دراية بالأفكار والتيارات المعاصرة كالشيوعية والوجودية والرأسمالية وغيرها، كذلك ينبغي عليه أن يقرأ الواقع الذي يعيشه بسلبياته وإيجابياته، وما يعانيه المسلمون اليوم من مشكلات بحيث لا يكون بعيداً عن الأحداث، وأن ينفعل بها ويتفاعل معها، مثل قضية فلسطين وما حدث بشأنها، وكذا العراق وما يجرى على أرضه ويحاك له، وكذلك سائر القضايا الساخنة على الساحة[1].

وخلاصة القول: أن كثرة الإطلاع وتعدد أوجه الثقافة والمعرفة ضرورة حتمية لا يمكن للخطيب الداعية الاستغناء عنها أبداً، ولا يتوقع نجاحه بدونها.

ثانياً: دراسة قواعد الخطابة وأصولها:

من الحقائق المسلمة أن الخطيب هو صانع خطبته، وهو الذي يقوم بتأديتها أمام الناس لإقناعهم واستمالتهم نحو ما يدعو إليه بأسلوبه الأخاذ، وصوته المعبر، وفنياته العالية.

وأن أي إصلاح أو تطور للتطبيق الخطابي لابد أن يعتمد على القدرة الفنية للخطيب، وتمكنه من قواعد الخطابة.

ومن هذا المنطلق كانت الإحاطة بقواعد الخطابة وأصولها ودراستها دراسة جيدة واعية من أهم المقومات العلمية اللازمة لنجاح الخطيب وتقدمه.. مع

---

(١) انظر: إعداد الخطيب بين الموهبة والتدريب، للدكتور/ طلعت محمد عفيفي، ص٣٠. بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأخذ في الاعتبار أن هذه القواعد وتلك الأصول لا تصنع وحدها خطيباً مفوهاً قادراً على التأثير في الناس وقيادتهم، وإنما لابد من توفر عناصر أخرى كثيرة أهمها: التدريب الجاد، والممارسة العلمية المستمرة للخطابة، والتطبيق الواعي لما تم تحصيله نظرياً في دراسة هذا العلم وقضاياه.

يقول الدكتور/ أحمد غلوش في كتابه: (قواعد علم الخطابة): "إن من يقول بالفطرة المجردة للخطيب لا يلامس الصواب في شيء، لأن معنى ذلك إلغاء دور التربية وأثرها في تكوين الإنسان وتنشئته، مع أن أثرها لا ينكر أبداً.

وكثيراً ما ترى أشخاصاً يملكون موهبة الخطابة، لكنهم لم يصقلوها بالتعليم والممارسة مما أدى إلى عجزهم عن مباشرة الخطابة، وبذلك قتلوا موهبتهم"(١).

وعلى هذا تكون تلك القواعد والأصول هادية ومرشدة لا مكونه ومنشئة، تنير الطريق للراغبين في سلوكه، وتوضح لهم معالمه.

ولذا فقد أحسنت كليات الدعوة وأقسامها حين وضعت ضمن خطتها الدراسية مادة الخطابة كي تساعد الطلاب – من خلال الدراسة النظرية والتطبيقية – على أن يكونوا خطباء مؤهلين للقيام بواجبهم على أحسن وجه، كما أحسنت معاهد إعداد الدعاة التابعة للجمعية الشرعية حينما سارت على الدرب نفسه فجعلت مادة الخطابة ضمن مناهجها الدراسية، الأمر الذي سيسهم – بمشيئة الله تعالى – في تخريج جيل من الخطباء الدعاة على المستوى اللائق بديننا ورسالتنا.

---

(١) قواعد علم الخطابة، للدكتور/ أحمد غلوش، ص٢٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثانى

المقومات الأخلاقية للخطيب الداعية

الخطيب في مجال الدعوة إلى الله تعالى يقف من جمهوره موقف المعلم والمربى، فهو يهدى إلى الحق، ويبصر بالخير، ويدعو إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق، فإن اشتهر بخيانة، أو نفاق، أو جبن، أو رذيلة من الرذائل، كان أول هادم لمكانته، ومضيع لتأثير خطبته، ومن هنا وجب عليه أن يتحلى بأطيب الصفات، وأكرم الخلال، وأسمى الأخلاق وأعلاها ليكون في الناس قدوة ومثلاً. ومن أهم هذه الأخلاق التي ينبغي أن يتسم بها ما يلي:

١- الإخلاص:

يعد الإخلاص في مقدمة الصفات الأخلاقية اللازمة لنجاح الخطيب الداعية، لأن طبيعة عمله في الناس قد تجره – من حيث لا يشعر– إلى الرياء، وحب السمعة والشهرة، وثناء الناس عليه، فإن لم ينتبه الداعية إلى هذا الشرك وقع فيه، وذهب عمله أدراج الرياح، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (١).

ومن أجمل ما قيل في الإخلاص وحقيقته أنه نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله(٢).

---

(١) في الآية ٥ من سورة البينة.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية حـ٢. ص٦٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعلى هذا فالإخلاص سر بين العبد وربه لا يطلع عليه أحد إلا الله، وواجب الداعية المسلم أن يقصد بكل أقواله وأفعاله وأحواله وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته، وحسن مثوبته دون النظر إلى مغنم أو مظهر، أو جاه، أو سلطان، أو لقب.

وواجبه أيضاً أن يسأل نفسه دائماً قبل الإقدام على أي عمل ماذا أبتغي به؟

هل وجه الله أم شيئاً آخر؟ فإذا استشعر الإخلاص لله ﷻ أقدم على العمل، وأن لم يستشعره جاهد نفسه وجدد النية والعهد حتى يرزقه الله الإخلاص، لأن العمل إذا قصد به غير الله تعالى رد على صاحبه، ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**" (١).

وليس من شك في أن الخطيب الداعية إذا أخلص كلمته لله فإن ذلك سوف يعود على نفسه وعلى مجتمعه وأمته بكل خير، وحسبه أن الله تعالى يقبل عمله، ويبارك جهده، ويجعل فيه الأثر، وليس هذا فحسب بل يرزقه العلم والحكمة، ويحميه من الوقوع في المعاصي والآثام قال مكحول:" ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه" وقال أبو سليمان الدارانى: "إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء"(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة في كتاب: "الزهد" باب: "من أشرك في عمله غير الله" ص:٥٩٣.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية، جـ٢، ص: ٦٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن جانب آخر فإن إخلاص الخطيب لله ﷻ يعد من أقوى الأسباب في إقبال الناس عليه وتأثرهم بكلامه، ولم لا؟ وحرارة الإخلاص تخرج من قلب الداعية كشعاع نور يسرى إلى قلوب الناس فإذا هم يزدادون إقبالاً على الله وخضوعاً لأوامره وتعاليمه، فما خرج من القلب نفذ إلى القلب وما خرج من اللسان لا يجاوز الآذان.

٢- الصـــــدق:

وهو من ألزم صفات الخطيب الداعية لأنه من الخصال الحميدة التي أمر الله بها المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١) وهو منجاة لصاحبه يوم القيامة، كما أنه باب لكل خير، قال تعالى: ﴿قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٢).

وفى الحديث عن بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**"(٣).

---

(١) في الآية ١١٩ من سورة التوبة.

(٢) الآية ١١٩ من سورة المائدة.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: "البر والصلة والآداب" باب: "قج الكذب وحسن الصدق وفضله" حـ٢ ص٤٣٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحقيقة الصدق: حصول الشيء وتمامه، وكماله وقوته، واجتماع أجزائه[1].

ويكون في القصد والقول والعمل:

ومعناه في القصد:

كمال العزم وقوة الإرادة على السير إلى الله، وتجاوز العوائق. أما صدق القول فمعناه: نطق اللسان بالحق والصواب فلا ينطق بالباطل أي باطل كان، ويكون الصدق في الأعمال بأن تكون وفق المناهج الشرعية والمتابعة لرسول الله ﷺ[2].

ومهما يكن من أمر فإنه إذا كان الصدق واجباً أخلاقياً ودينياً في حق عامة الناس، فهو في حق الخطباء والدعاة أكثر وجوباً، وأشد ضرورة، وذلك لما له من أثر كبير في نجاح دعوتهم، فالخطيب الصادق يظهر أثر صدق في تعبيرات وجهه، وصوته، وحركاته وسكناته، فقد كان النبي ﷺ يتحدث إلى من لا يعرفونه فيقولون: والله ما هو بوجه كذاب ولا صوت كذاب.

وليس من شك في أن ظهور أثر الصدق في وجه الخطيب وصوته وانفعالاته وإشاراته يؤثر في المستمع أيما تأثير، ويحمله على قبول قوله واحترامه.

---

(١) مدارج السالكين حـ٢. ص:٢٠٦.

(٢) انظر: أصول الدعوة للدكتور/ عبد الكريم زيدان ص:٣٤٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- الصـــــــــبر:

يعتبر الصبر من أهم المقومات اللازمة لنجاح الخطيب الداعية، فبدونه لا يستطيع تبليغ دعوته، ولا يمكن أن يتحمل مشقاتها ومسئولياتها، لأن طريق الدعوة والإرشاد محفوف بالمكارة، ملئ بالمتاعب.

ولهذا كان الصبر عدة للأنبياء والمرسلين، وزاداً للدعاة والمصلحين وسائر المؤمنين على مر العصور والأزمان.

قال تعالى آمراً به نبيه محمداً صلوات الله وسلامه عليه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾(٢).

وقال سبحانه حكاية عما قاله موسى عليه السلام لقومه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ﴾ (٣).

وقال جل شأنه حكاية عما قاله يعقوب عليه السلام لبينه بعد أن كادوا لأخيهم يوسف: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾(٤).

وقال ﷻ حكاية عما قاله لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(٥).

---

(١) في الآية ٣٥ من سورة الأحقاف.

(٢) الآية ١٠ من سورة المزمل.

(٣) في الآية ١٢٨ من سورة الأعراف.

(٤) في الآية ١٨ من سورة يوسف.

(٥) في الآية ١٧ من سورة لقمان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال جل وعلا أمراً به المؤمنين كذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وفي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ: "أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده، فقال لهم -حين أنفق كل شيء بيده-: ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر"[3].

هذا وهناك نصوص كثيرة في القرآن والسنة تبرز أهمية الصبر وضرورته.

ومن أجمل ما قيل في حقيقة الصبر ومعناه: أنه حبس النفس عن الجزع والتسخط. وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش.[4] أي الانحراف.

---

(١) الآية ١٥٣ من سورة البقرة.

(٢) في الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب (الزكاة) باب (الاستعفاف عن المسألة) م١. حـ١. ص:٢٥٨، ٢٥٩.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية حـ٢ ص١١٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو على ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله، فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه[1].

وعلى آية حال فالصبر بالنسبة للخطباء الدعاة إلى الله تعالى لا يعني الذلة والاستكانة والقعود عن أداء واجبهم، والكف عن التفكير في معالجة من يتطاولون بالأذى على الأحرار والأبرياء وإنما يعني:

أ- أن يهضم الداعية ما يلقى من إعراض وعناء وتحد وأذى بحيث لا يشعر أن هذه العقبات يشرق بها حلقه، فإن ذلك يضايقه، ويعجله عن حسن علاجها، بل عليه أن يروض نفسه ومعدته العصبية على هضم ذلك كله بحسن الاحتمال، واستقبال كل شدة بالرضا والتسليم.

ب- أن يتخذ سبيله في غير طريق هذه العقبات، عليه أن يدور حولها، ويمضى إلى ما خلفها، عليه أن يمضى في دعوته، يوجه الناس ويتألف قلوبهم بما يبذل لهم من خدمات ومنافع.

ج- أن يرتقب ما يأتي به الزمن، فللزمن مفاجأته وفرصه التي تجئ بغير ما يتوقع، وقد يجرى الله في غضونه من الأحداث والتصرفات ما يهون به شأن هذه العقبات أو يزيلها. وما على الداعية إلا أن يحذر انطفاء حماسته بطول الزمن، بل عليه أن يتخذ مما هضمت أعصابه مدداً لثورته الباطنة وقواه الكامنة فلا تزيده الأيام إلا قوة على أمره[2].

---

(١) المرجع السابق حـ٢ ص:١١٦.

(٢) تذكرة الدعاة للشيخ البهي الخولي ص٢٦٧ – بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذلك عليه ألاَّ يتعجل في علاج أي فساد على نحو يعرضه للبطش والتنكيل حتى لا يخسر الميدان واحداً من رجاله دون طائل.

يقول الشيخ البهي الخولي رحمه الله: "وعلاج الفساد بعلاج الحوادث الفردية كثيراً ما يوقع تحت طائلة القانون ويغضب مقامات كثيرة لها منفعة في استمرار الفساد على ما هو عليه، وحينئذ يعرض الداعية نفسه لحكم القانون وبطش الجبارين في غير نفع يعود على الدعوة. والمتتبع لسيرة الرسول ﷺ يجد أنه لم يعمل بعلاج فردى، بل أنه كان يصلى في الكعبة في جوف الليل، والأصنام تطل بعيونها الجامدة فلم يرفع إليها يداً، ولو مد إليها يده لما رآه أحد، ولكنه ﷺ علم أن سبيل العلاج شيء غير هذا، وهو الصبر، والاستمرار على الدعوة، وتجميع الأنصار، وتعبئة القوى، وتقرير العقيدة السليمة، والاحتكام إلى العقل ومعاييره، وعندما جاء اليوم الموعود كان ﷺ يشير إلى الأصنام بقضيب في يده قائلاً: "جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً" فتنكفئ على وجهها إلى غير رجعة" أ.هـ[1].

٤- الحلم وسعة الصدر:

ومن الصفات الأخلاقية اللازمة لنجاح الخطيب الداعية كذلك: الحلم وسعة الصدر حتى يمكنه معالجة أمراض النفوس، وهو هادئ النفس، مطمئن القلب، لا يستفزه الغضب، ولا يستثيره الحمق فتنفر منه القلوب، وتشمئز منه النفوس، وحسبنا في هذا قول الله تعالى لإمام الدعاة وسيدهم صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2].

---

(١) المرجع السابق نفسه ص: ٢٦٩-٢٧١ - بتصرف

(٢) في الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نعم لو كان رسول الله ﷺ غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وبشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا بضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم: في حاجة إلى قلب كبير وصدر واسع يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همهم ولا يعنيهم بهمه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشرى، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية ووسعهم حلمه وبره، وعطفه ووده، وما من أحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيمة (١).

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الخطباء الدعاة إن أرادوا فلاحاً لأنفسهم، ونجاحاً لدعوتهم، وتقدماً وازدهاراً لأمتهم.

٥- التواضع:

وهو بالدعاة والمرشدين أليق، ولهم ألزم، لأن الناس إليهم ينظرون، وبهم يقتدون.

ففي صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ما

---

(٣) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب: حـ١. ص: ٥٠٠، ٥٠١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نقص صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"(١).

وفى سنن أبى داود عن عياض ابن حمار أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد" (٢).

ومن أقوال الصديق أبى بكر ﷺ: "وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في الدين، والشرف في التواضع.

ومن أقوال الفاروق عمر ﷺ: "تواضعوا لمن تتعلمون منه ليتواضع لكم من تعلمونه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء"(٣).

ومن أجمل ما قيل في حقيقة التواضع ومعناه أنه: خفض الجناح ولين الجانب، وأنه: الخضوع للحق، والانقياد له، وقبوله ممن قاله (٤).

إذن فالتواضع هو الانقياد للحق، وعدم التعالي على الخلق، ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته في ذلك الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فقد خرج النبي ﷺ مرة على أصحابه متكئاً على عصا، فقاموا فقال: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً، وقال: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد" وكان يركب الحمار، ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: "البر والصلة والآداب" باب: "استحباب العفو والتواضع" حـ٢: ص: ٤٣٢.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب: "الأدب" باب: "التواضع" حـ٤ ص:٢٧٥.

(٣) انظر: هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص: ١٠٤، ١٠٥.

(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم الجوزية حـ٢ ص٢٤٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حيثما انتهى به المجلس جلس [1].

وكان يأتي الرجل من البادية يسأل عنه ﷺ فما يعرفه من بين أصحابه، وذلك لعدم تميزه عليهم، وفى فتح مكة جاءه رجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه فقال له: "هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد"[2].

هذا وقد تأسى الصحابة الكرام بسيدنا رسول الله ﷺ في هذا الخُلق الرفيع، ونهلوا من معينه الصافي، ولذلك ضربوا لغيرهم أروع الأمثلة في التواضع لله تعالى، ولين الجانب لخلقه وعباده.

ومن ذلك ما روى عن عروة بن الزبير ﷺ أنه قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ على عاتقه قربة ماء فقلت: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا، فقال: لما أتاني الوفود سامعين طائعين، دخلت نفسي نخوة فأردت أن اكسرها".

وما روى أيضاً أن زيد بن ثابت ﷺ ركب مرة فدنا منه ابن عباس ﷺ ليأخذ بركابه فقال: مه يا ابن عم رسول الله. فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا، فقال: أرني يدك، فأخرجها فقبلها فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بآل بيت رسول الله ﷺ [3].

---

(١) أنظر: نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضرى ص:٢٢٩.

(٢) أخرجه ابن ماجه فى سننه فى كتاب: "الأشربة" باب: "القديد" حـ٢ ص:١١١ عن ابن مسعود رضى الله عنه، والقديد اللحم المملح المجفف فى الشمس.

(٣) أنظر: مدارج السالكين حـ٢. ص: ٢٤٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وخلاصة القول: أن الخطيب الداعية أحوج ما يكون إلى هذا الخلق الكريم (التواضع) وإلا فكيف يخالط الناس ويدعوهم إلى مكارم الأخلاق وهو عار منه؟ إن فاقد الشيء لا يعطيه.

ثم إن من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً، كما أن من طبائع الناس أنهم لا يحبون من يكثر الحديث عن نفسه، ويكثر من قوله: أنا.. أنا.

فعلى الداعية أن يفطن إلى ذلك، وأن يكون على علم تام بأن كل ما لدية من علم وفقه، وفصاحة وبيان إنما هو محض فضل من الله تعالى، فليحدث بفضل الله لا بفضل نفسه، فإذا عرف الناس منه ذلك فتحوا له قلوبهم، وتلقفوا دعوته بالاستجابة والقبول [1].

كما أن عليه أن يكون نموذجاً طيباً ومثالاً يحتذى في التواضع لمشايخه وأساتذته، وكذلك لإخوانه وزملائه- ولو كان أحدهم أصغر منه سناً أو أقل منه علماً – حتى تسود الألفة والمحبة بينه وبينهم، وهذا بلا شك يجعله مع دعوته محل تقدير واحترام من جانب كل من يلقاه ويستمع إليه.

٥- القناعـــــــة:

كذلك كان من الصفات الأخلاقية المهمة لنجاح الخطيب الداعية القناعة بالميسور من الرزق، ولو كان قليلاً والتعفف عما في أيدي الناس، مهما كان، فإذا قنع بما أعطاه الله، ويسر له، ولم يتطلع إلى ما في أيدي الناس عاش حياته كريماً مهيباً، وكان بموقفه هذا أقوى تأثيراً في الناس، وأشد استمالة لهم.

---

(١) راجع: أصول الدعوة للدكتور/ عبد الكريم زيدان ص:٣٢٣. بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما إذا لم يقنع بما قسمه الله له، ولم يرض به، ومد عينيه إلى ما في أيدي الآخرين، وطمع فيه، فإنه حينئذ سيطلب ما عندهم بصورة، أو بأخرى، ومن كان هذا حاله، كيف يهدي الناس، وهو ضال؟

وكيف يدعوهم إلى العزة، وهو ذليل؟

وكيف يدعوهم إلى التحرر من كل استعباد، وهو عبد لأهوائه وأطماعه؟

لقد ألجموه بسلاسل عطاياهم، وأخرسوه بفتات حياتهم، وكسروا عينه بما ألقوا إليه من حطام هذه الدنيا، فما يستطيع بعد ذلك أن يأمرهم بمعروف يتركونه، ولا أن ينهاهم عن منكر يفعلونه(١).

ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى القناعة والرضا بما قسم الله تعالى، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسوا الله ﷺ: "**ليس الغنى عن كثرة العرض، لكن الغنى غنى النفس**"(٢).

وفي الحديث أيضاً عن عبد لله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: "**قد أفلح من هُدي إلى الإسلام، ورزق الكفاف، وقنع به**"(٣).

وفي الحديث كذلك عن عُبيد الله بن مُحصِن الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول ﷺ: "**من أصبح منكم معافى في جسده، آمنا في سربه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا**"(٤).

---

(١) الخطابة الوعظية للدكتور سليمان درويش عامر ص٩٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب القناعة ج٢ ص١٣٨٦.

(٣) المرجع السابق ج٢ ص١٣٨٦.

(٤) المرجع السابق ج٢ ص١٣٨٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان الحسن البصرى يقول: "لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دنياهم، فإذا فعلوا ذلك استخفوا به، وكرهوا حديثه، وأبغضوه".

وقال أعرابي لأهل البصرة: من سيدكم؟ قالوا: الحسن. قال: بم سادكم؟ قالوا: أحتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم. قال: ما أحسن هذا[1].

وإذا كانت هذه التوجيهات والوصايا مهمة لكل مسلم، فإنها للخطيب الداعية أكثر أهمية، وأشد ضرورة، لأنه على قدر قناعة العلماء في الدنيا تكون مكانتهم في نفوس الناس، والتفافهم حولهم، والاستماع إليهم في حب وإجلال، واحترام وتقدير، وعلى قدر تعلق العلماء بالدنيا وتطلعهم إلى ما في أيدي الناس، وطمعهم فيه تكون زهادة الجماهير فيهم، وعدم الثقة بهم، واتهامهم، والانصراف عنهم، فلا يسمعون لهم قولاً، ولا يقبلون منهم نصحاً.

٧- الشجاعة:

وهي من ألزم صفات الخطيب الناجح، حتى لا يهاب أحداً في الجهر بالحق، ولا تأخذه في نصرة الدين لومة لائم، وحسبه أنه بشجاعته، وجُرأته في الحق يُعَدُّ في مقدمة العصبة المؤمنة التى عناها الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾[2].

---

(١) انظر هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ ص٩٧.

(٢) الآية ٥٤ من سورة المائدة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفيم الخوف من لوم الناس، وهم يتبعون سنة الله، ويعرضون منهج الله للحياة؟[1].

هذا وأصل الشجاعة: ثبات القلب وقوته وسكونه عند المهمات والمخاوف، وهي خلق نفسي يغذيه، وينميه الإيمان، وحسن التوكل على الله تعالى، وكمال الثقة به سبحانه، وعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصبه، وهذا ما كان عليه إمام الدعاة وقدوتهم رسول الله ﷺ.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، وقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة، وعلق في عنقه السيف، وهو يقول: لم تراعو، لم تراعوا[2].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال ﷺ "لا يحقرن أحدكم نفسه. قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أمراً لله عليه فيهم، قال: ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس. فيقول: فإياى كنت أحق أن تخشى"[3].

ومن هنا يتضح أن الخطيب الداعية لا بد أن يكون شجاعاً في الحق، ولا يخشى في الله لومة لائم، لكنه مع هذا في حاجة إلى لباقة، وحسن تصرف، حين

---

(١) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ج٢ ص٩١٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب ج٢ ص٣٢١، ٣٢٢..

(٣) أخرجه ماجه في كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ج٢ ص٣٢٨. وإسناده صحيح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحاول إظهار الحقيقة، ومكافحة الباطل، لا بالمداهنة والنفاق، وإنما بالحكمة والموعظة الحسنة، وخاصة إذا عرف أن المجاهرة بكشف كل الحقائق ستكون عاقبتها وخيمة[1].

ولا يفوت الخطيب في هذا المضمار أن يقوي صلته بالله عز وجل، وأن يذكر نفسه دائماً بأن الأمور بمقادير الله عز وجل ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

كما لا يفوته أن يقلب النظر ويعمل الفكر فيما يتلو من آيات الكتاب العزيز للوقوف على مواطن العبرة والعظة، خاصة فيما قصه الله عن أنبيائه ورسله، وما حكاه عن مواقفهم الشجاعة في مواجهة أعدائهم.

فهذا كله مما يعين الخطيب الداعية على القيام بمهمته دون خوف أو تردد.

٨- **التودد للسامعين:** وهو ما يعرف بالمشاركة الوجدانية[3]:

- وهذا الخلق الكريم لا يتأتي للخطيب الداعية إلا بما يلي:

أ- التواضع للناس.

ب- أن يكون ممن يألفون ويؤلفون، فلا يكون جافياً خشناً قاسياً.

ج- أن يمدح الجماعة التي يخاطبها، ويذكرها بأحسن صفاتها.

---

(١) أصول الخطابة العربية للدكتور/ عبد الغفار عزيز ص٢٥٠، ٢٥١.

(٢) الآية ٥١ من سورة التوبة.

(٣) فن الخطابة والتوجيه للدكتور/ توفيق الواعي. والدكتور/ يسري هانئ ص٧١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د- أن يبين لهم أنه يسعى لمصلحتهم، وأنه لا غرض له شخصي، فإن الغرض إذا ظهر من الخطيب جعل الريبة تتطرق إلى قوله[1].

وهذا كله يمكن الخطيب من معايشة الناس المحيطين به، ومشاركتهم في كل أحوالهم، والتعرف على أحوالهم وطبائعهم وعاداتهم وتقاليدهم على الطبيعة، دون زيف أو تصنع، كما يعطي للداعية رؤية واضحة تبصره بأنسب طرق التأثير ووسائل الإقناع التي يجب أن يسير عليها في توجيههم وإرشادهم.

يقول الدكتور/ أحمد غلوش: "إن المشاركة تضفي إحساساً عملياً له قوته في الوصول والتأثير، إذ بها ينتظر الناس الخطيب، ويقدمونه عليهم، فيأخذون رأيه، وينهجون نهجه، ويجعلونه رائدهم، وما استحق ذلك عندهم إلا بعد أن تأكوا من الصور العملية لهذه الصفة، فهو حبيب يتمنى الخير للجميع، كما يتمناه لنفسه، فيصل الرحم، ويكرم الجار، ويقري الضيف، ويخلص للجميع، ولا يترك أمراً فيه مصلحتهم إلا ويحث عليه، ويبعدهم عن سواه، ودائما تلقاه مهتماً بالخير والنفع، فيكرر النصيحة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وتعاونه مع الجميع يلمسه الجميع في وضوح وجلاء، وهو في كل هذا لا ينتظر جزاء ولا شكوراً، وكل ما يتمناه أن يجعل الأفهام متفتحة لدعوته، مقبلة على تدبرها، واليقين بها" أ. هـ[2].

ومهما يكن من أمر فإن الخطيب الداعية بتعامله مع جمهوره على هذا المستوى الراقي إنما يمثل أسمى القيم والمبادئ التي دعا إليها الإسلام. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

---

(١) الخطابة. الإمام أبو زهرة ص٥٢.

(٢) قواعد الخطابة للدكتور/ أحمد غلوش ص١٧٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].

وقال جل شأنه في معرض حديثه عن الأنصار، وثنائه عليهم، بسبب حبهم لإخوانهم المهاجرين: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[4].

ومن أقوال سيدنا سلمان الفارسي -رضي الله عنه- "مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنا قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً"[5].

وإذا كان هذا يتعلق بالمسلمين عامة، فما بالنا بالخطيب الداعية، وهو موضع الأسوة والقدوة.

---

(١) الآية ٧١ من سورة التوبة.

(٢) الآية ١٠ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٩ من سورة الحشر.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب "البر والصلة والآداب" باب "تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم" عن النعمان بن بشير -رضي الله عنه-.

(٥) انظر الخطابة وإعداد الخطيب للدكتور توفيق الواعي ص١٩٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩- العمل بما يدعو إليه:

فمن الواجب على الخطيب الداعية أن يعمل بعلمه، وأن يطابق قوله فعله، وأن تكون حياته العلمية ترجمة حية واقعية لكل ما يدعو إليه في خطبه ودروسه ومحاضراته، وإلا ضاعت خطبه سدى، وذهب نصائحه وتوجيهاته أدراج الرياح، لأنه لا يصح أبداً أن يأمر الداعية بشيء ما لم يكن هو أول عامل به، ولا ينهى عن شيء ما لم يكن هو أول تارك له، ليؤثر وعظه ويثمر إرشاده، وإلا فلو كان يأمر بالخير ولا يأتيه، وينهى عن الشر، وهو موحول فيه، لكان هو نفسه عقبة في طريق الإصلاح، وهيهات أن ينتفع الناس به، مهما كانت فصاحته وبلاغته، ففاقد الشيء لا يعطيه.

يقول صاحب الظلال رحمه الله:

"إن الكلمة لتنبعث ميتة، وتصل هامدة، مهما تكن طنانة رنانة متحمسة إذا لم تنبعث من قلب يؤمن بها، ولن يؤمن إنسان بما يقول حقاً إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول، وتجسيماً واقعياً لما ينطق به، عندئذ يؤمن الناس، ويثق الناس، ولو لم تكن في تلك الكلمة طنين، ولا رنين، إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها، لا من رنينها، وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها" أ. هـ[1].

ويقول مالك بن دينار: "إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا" وهذا حق لا مرية فيه، لأنه من المحال أن

---

(١) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ج١ ص٦٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحصل في نفس المدعو ما ليس بموجود من الداعي،فإذا لم يكن الداعي إلا ذا قول مجرد من العمل لم يكن نصيب المدعو منه إلا القول[1].

ولهذا استنكر الإسلام أشد استنكار أن يقول الإنسان ما لم يفعله، وقبح هذا الخلق أشد تقبيح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[3].

فهذا توبيخ لأحبار اليهود على سيرتهم المعوجة في الإرشاد، إذ ليس من العقل أن ينصح الإنسان للغير، أو يشفق عليه، ويهمل نفسه، ولهذا حذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا القول[4].

وعلى كلٍ: فالآية ناعية على كل من يعظ غيره، ولا يتعظ لسوء صنعيه، وعدم تأثره وتأثيره. وفي الحديث عن أسامة بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقطاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: يا فلان مالك، ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه"[5].

---

(١) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص٩٠.

(٢) الآيتان ٢، ٣ من سورة الصف.

(٣) الآية ٤٤ من سورة البقرة.

(٤) انظر هداية المرشدين ص٩٢.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعل ج٢ ص٥٩٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما جاء في الحديث أيضاً: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من النار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك؛ الذين يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون"(١).

وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصى على علم، ولأنه قدوة، فبزلته يزل كثيرون.

وخلاصة القول: أنه يجب على الخطيب الداعية أن يتعظ أولاً قبل أن يعظ، ويبصر ما يقول وما يفعل، ثم يُبصِّر، ويهتدي في نفسه قبل أن يهدي، ولا يكون كالشمعة تضيء لغيرها، وتحرق نفسها، بل ينبغي أن يكون كالمسك، يطيب غيره، وهو طيب في نفسه، كما ينبغي أن تكون أفعاله وأحواله مطابقة لأقواله ومواعظه.

كانت هذه بعض الصفات الأخلاقية اللازمة للخطيب الداعية، وهناك صفات أخرى كثيرة يجب أن تتوفر فيه أيضاً، كالوقار والرزانة والإمساك عن فضول الكلام والتحفظ عن التبذل بالهزل القبيح، ومخالطة أهله، وحضور مجالسه، وكذا التقوى والأمانة والورع والبعد عن الشبهات ومواطن الريبة.

ومن آدابه أيضاً: أن يكون كبير الهمة عالي النفس، مترفعاً عن الدنايا والصغائر، ليكون في قومه ووسط جمهوره مثلاً كريما يحتذي به وعلماً بارزاً يشار إليه بالبنان.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الإسراء باب ذكر الخطباء الذين يتكلمون على القول دون العمل جـ١، ص:٢٤٩، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثالث

المقومات العقلية للخطيب الداعية

من المفترض في الخطيب الداعية أن يكون متقد الذهن، دائب الفكر، سديد الرأي، لأنَّ مهمته التأثير في الناس وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم، ومن ثمَّ فلا بد له من عقل راجح يفوق عقول مستمعيه، وحجة باهرة تفوق حجتهم، ومنطق قوى يفوق منطقهم، وهذا لا يتأتى للخطيب إلا بمقومات عقلية تؤهله لذلك:

ومن أهم هذه المقومات ما يلي:

١- قوة الذاكرة:

يحتاج الخطيب إلى ذاكرة قوية تعينه على أداء رسالته، ذلك لأنَّ الذاكرة الضعيفة تُنسى كثيراً من المعارف، وتضر كثيراً من العبقريات، لأن المرء قد يكون متقفاً، غزير المادة، واسع الاطلاع، ومع ذلك إذا صادفه موقف حسَّاس ارتج عقله وخانته ذاكرته، وقديماً قالوا: "المرء بأصغريه قلبه ولسانه"، والقلب الحافظ لا يكون إلا من ذاكرة حسنة وبديهة حاضرة[١].

ولقد درس العلماء طرق تحسين الذاكرة وحصروها في ثلاث هي:

أ) **التركيز**: ويكون باستحضار المعنى عند قراءة كلماته، وترتيب الأفكار حسب ورودها في الألفاظ، ويا حبذا لو ارتبطت هذه الأفكار بصور حية في النفس، ويكون أيضاً بالقراءة بصوت عالٍ حيث تشترك

---

(١) قواعد علم الخطابة: الدكتور أحمد غلوش، ص ٢٥٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حاستك في التقاط المعنى، كما يكون بتسجيل ما يقرأ كتابة، لأن العقل تعتمد على رؤية المكتوب أكثر من المسموع حسباً وعشرين مرة، ويأتي التركيز كذلك بإبعاد كافة المعوقات الحسية أثناء القراءة مثل الضوضاء وغيرها.

ولسنا نقصد من هذه الصور الكثيرة سوى تذويبها أمام الشخص، لأن من الناس من يركز بصورة أو بأخرى أو بغير ذلك كله.

ب) التكرار: وهذا هو القانون الطبيعي الثاني لقوة الذاكرة وهو مضمون النتيجة، لأنه يمكن الكثيرين من حفظ النصوص الطويلة مع الأخذ في الاعتبار ألا يكون التكرار آلياً، بل يجب أن يكون ذكياً بمعنى أن يستمر التكرار مدة طويلة وعلى فترات متقطعة، فهذا مما يساعد العقل على تثبيت ما يقرأ وتذكره.

ج) الترابط: بمعنى أن يتذكر الخطيب نقاط موضوعه ويربطها بشيء موجود في العقل، أو يربط بعضها ببعض حتى يسهل إيرادها وقت الإلقاء[1].

وعلى أية حال فإنه يتعين على الخطيب الداعية أن يحسن ذاكرته بكل الطرق الممكنة ليتمكن من أداء مهمته على الوجه المطلوب.

٢- عمق النظرة:

الخطيب الداعية يعرض عقله على الناس كلما التقى بهم، وهذا أمر ليس بالهين، وإنما هو شاق وصعب، ولذلك لما قيل لعبد الملك بن مروان: عجل عليك

---

(١) المرجع السابق: ص ٢٥٧-٢٥٩ - بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشيب يا أمير المؤمنين، قال: وكيف لا يعجل علي؟ وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين[1].

وهذا يستلزم بلا شك أن يكون الخطيب واسع الأفق، عميق النظرة، فاهماً لكل ما يدور حوله، مدركاً لأبعاده.

يقول الدكتور أحمد غلوش: "صاحب العقل يعيش الحياة فاهماً لها، متأملاً فيها، يأخذ الدروس، ويستنتج العبر، ولذلك نراه دائماً ينظر ويحلل ويستفيد، وهو ليس سطحياً في نظرته ولا بسيطاً في أحلامه وتوقعاته، وإنما هو شخص يضم إلى هدوئه دقة الفكر، وعمق التركيز، يستنتج مما ينزل أكثر مما يعرفه غيره، ولذلك نراه محيطاً بأحوال الناس، عليماً بحاجاتهم، قادراً على حل مشاكلهم، وإذا أراد أن يتحدث إليهم لمس أوتار قلوبهم، ومواضع التأثير فيهم، وهو بواسطة عقله وذكائه يختار موضوعه ويجمع أدلته، ويصبه في آذان الناس بصورة بليغة تدفعهم إلى ما يريد منهم"[2].

٣- قوة الملاحظة:

تعد هذه الصفة من أهم الصفات العقلية اللازمة لنجاح الخطيب الداعية لأنه من خلالها يمكنه بوضوح التعرف على أحوال مستمعيه عند إلقاء الخطبة وقبلها.

أما قبلها فيدرك بقوة ملاحظته واقع حياتهم ومقتضى أحوالهم وميولهم فيختار لهم ما يناسبهم ويلائم مستواهم.

---

(١) المرجع السابق: ص٢٥٠.

(٢) المرجع السابق: ص٢٥٠بتصرف يسير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأما عند إلقاء الخطبة فينظر إلى مستمعيه بعين فاحصة ليرى أهم مقبلون عليه؟ فيسترسل، أم هم معرضون عنه؟ فيوجز أو يتجه إلى ناحية أخرى يراها أقرب إلى قلوبهم وأدنى إلى مواطن التأثير فيهم.

يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله: "يجب أن تكون نظرات الخطيب إلى سامعيه نظرات فاحصة كاشفة يقرأ من الوجوه خطرات القلوب، ومن اللمحات ما تكنه نفوسهم نحو قوله ليجدد من نشاطهم، ويذهب بفتورهم، ولتتصل روحه بأرواحهم، ونفسه بنفوسهم"أهـ[1].

٤- حضور البديهة:

إن الخطيب في أي موقف قد يتعرض للسؤال أو المقاطعة أو الاعتراض أو التعقيب، وقد يُحسّ في بعض الأحايين من الناس سأماً أو ملالة فيضطر إلى تغيير مجرى حديثه ليسمعهم ما يشدُّ انتباههم، وتنجذب إليه أفئدتهم.

ولهذا ينبغي أن يكون حاضر الذهن لا يتلعثم في جواب، ولا يتردد في دفع اعتراض، وإلا انفرط عقده، وضاعت هيبته، وانصرف الناس عنه.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله:

"حضور البديهة تسعف الخطيب بالعلاج المطلوب إنْ وجد من القوم إعراضاً، والدواء الشافى إنْ وجد منهم اعتراضا، فإذا لم تقدم البديهة الحاضرة كلاماً قيماً يسُدُّ به الخلة، ويدفع به الزلة، ضاعت الخطبة وآثارها".أهـ[2].

---

(١) الخطابة: الإمام محمد أبو زهرة، ص٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص٥٥ بتصرف يسير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا وحضور البديهة إنما يأتي من شدة الذكاء، وقوة الملاحظة، وحسن معرفة أحوال الناس وطباعهم، وشجاعة الخطيب، وفهمه لدعوته، ورسوخ موقفه، ووضوح غايته، وتمكن علمه.

وفيما يلي نماذج لخطباء نابهين اتصفوا بهذه الصفة العظيمة، وقد تخلصوا بها من مواقف حرجة:

أ) خطب أبو جعفر المنصور ذات مرة فحمد الله وأثنى عليه، فقال أحد السامعين: "أذكرك من ذكرَّت به" فأجاب أبو جعفر بلا تفكير ولا روية: سمعاً، سمعاً لمن حفظ عن الله وذكرَّ به، وأعوذ بالله أن أكون جباراً عنيداً، وأن تأخذني العزة بالإثم، لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين، وأنت أيها القائل فو الله ما أردت بها وجه الله، ولكن ليقال قام فعوقب فصبر، وأهونْ بها لو كانت، وأنا أنذركم أيها الناس أختها، فإنَّ الموعظة علينا نزلت وفينا انبثت" ثم عاد إلى الخطبة.

ب) ومن ذلك أيضاً: أن بعض الخلفاء العباسيين صعد المنبر ليخطب، فسقطت ذبابة على وجهه فطردها، فعادت إليه فطردها، فلما تكرر ذلك منها ضاقت نفسه، واضطرب تفكيره فتخلص بآية من القرآن ملائمة للحالة التي يعانيها فقال: أعوذ بالله السميع العليم: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوب﴾ (١) ثم نزل فاستحسنوا منه هذا التخلص.

---

(١) الآية ٧٣ من سورة الحج.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ج) ومن الأمثلة الدالة على مواتاة البديهة كذلك ما حدث لوكيع بن أبي أسود التميمي أحد أبطال المسلمين في فتوح بُخارى مع قتيبة بن مسلم، فقد كان يخطب مرة في جند العرب بخراسان، فقال على سبيل الخطأ – إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أشهر" فرد عليه أحد السامعين بقوله: "إنها ستة أيام، فقال وكيع: وأبيك لقد قلتها وإنى لأستقلها"[1].

د) ووقف لويد جورج – الخطيب الإنجليزى المعروف – يَعدُ بالحكم الذاتى فيقول: سنعطى الحكم الذاتي لكندا، وسنعطيه لأيرلندا، وسنعطيه: ولم يتم الكلمة حتى قال أحد السامعين: "لجهنم فرد عليه لويد جورج بقوله: "هو ذاك، يعجبني أن يتذكر كل إنسان وطنه[2].

وهكذا كان الجواب السديد الذي هيأته البديهة الحاضرة هو طوق النجاة للخطيب في كل هذه المواقف وغيرها، ولولا المسارعة به لضاعت مهابته ولذهب أثر خطبته.

---

(١) راجع، فن الخطابة: الدكتور أحمد الحوفي، ص٢٢، ٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الرابع

المقومات النفسية والوجدانية للخطيب الداعية

إن الخطيب الداعية – في حقيقة أمره – طبيب روحي يعالج أمراض النفوس، ويطبب أدواء القلوب، ويحاول قدر طاقته وقايتها من أي أمراض متوقعة، سواء من ناحية العقيدة، أو من ناحية السلوك أو الأعراف والتقاليد، وهذا –بلا شك– يتطلب الكثير من المقومات النفسية والوجدانية التي تؤهله للقيام بهذه المهمة الشاقة، التي لا يقوى عليها إلا الأكفاء من الرجال، وفيما يلي عرض لأهم هذه المقومات اللازمة لنجاحه واستمراره.

١– حبه لرسالته وتفانيه في أدائها:

وتبدو أهمية هذا الجانب في أنه يمثل القوة المحركة لحماسة الخطيب، والعنصر الدافع له إلى التفاني في عمله، والإخلاص فيه، والحرص على إجادته وإبرازه في أحسن صورة.

والخطيب الداعية ليس بدعاً من الناس في هذا وإنما شأنه شأن كل إنسان في مجاله الذي يعمل فيه، فإن أحبه وتعلق به أجاد وأحسن، وجدد وابتكر، وإن كانت الأخرى تقهقر وتأخر.

وبهذا ندرك بوضوح السِّر في أن هناك خطيباً ناجحاً وآخر غير ناجح، فالأول بلا شك يحب الخطابة، ويشتاق إلى مواجهة الناس والتحدث إليهم، ويشعر بسعادة غامرة وهو يؤدى رسالته ويخدم دعوته، ولذلك نراه يستعد لذلك أيما استعداد. أمَّا الثاني فهو كاره لمجاله، منصرف عنه، وحتى إذا وقف أمام الناس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليتحدث إليهم شعر أنه مرغم على ذلك، ومن ثم تخرج كلماته باهته لا روح فيها ولا تأثير لها.

هذا ومما يزيد الخطيب حباً لرسالته وإخلاصاً لها: أن يضع نصب عينيه أنه يقوم بأشرف مهمة وهى مهمة البلاغ عن الله ورسوله للأخذ بيد الناس إلى ما فيه صلاحهم ونفعهم في المعاش والمعاد، وأن يكون دائم النظر في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأحوال السلف الصالح ليقف على مدى حبهم للدعوة إلى الله تعالى وتضحياتهم في سبيلها بكل غالٍ ونفيس.

٢- الثقة بالنفس:

وهى الثبات والرسوخ والاطمئنان، والقدرة الذهنية والنفسية على مواجهة المواقف وتحمل الصعاب، ومطاردة اليأس والوهن.

وهى أيضاً القدرة على الوصول إلى الهدف أو التقدم إليه بشموخ وعز، وصبر وجلد[١]. قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِيَ أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىَ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [٣].

وقال ﷺ: "**المؤمن القوى خير واجب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا**

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب: الدكتور توفيق الواعي، ص١٩٠.

(٢) الآيتان ٤٣-٤٤ من سورة الزخرف.

(٣) الآية ١٣٩ من سورة آل عمران.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تقل: لو أنى فعلت كذا وكذا، ولكنْ قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان[1]".

وهذه الصفة وإن كانت لازمة لكل مؤمن إلا أنها للخطيب الداعية ألزم لأنها تبعث في قلبه السكينة والاطمئنان، ومن ثمَّ فهي تمكنه من دعوة الناس وإرشادهم في جرأة وثبات، كما تمكنه من مواجهة معارضيه الذين يتصيدون هفواته، ويتتبعون زلاته في غير خوف ولا اضطراب.

ومما ورد في هذا الصدد أن أحد الخطباء وقف بين جمهوره يوماً ليقنعهم بشيء فعارضه أحد سامعيه وشرح فساد رأيه فصفق الحاضرون جميعاً لهذا المعارض، فلما انتهى تصفيقهم وضحكهم بدأ الخطيب في هدوء تام يصيح بالحاضرين: أيها السادة.. إلى هنا صفقتم وضحكتم لأنَّ هذا الرجل خدعكم بكلام معسول ولكن انظروا هاهنا ما يستحق أن تتأملوه" ثم بدأ يشرح رأيه من جديد في ثبات وهدوء كأن لم يعترضه أحد أو يسخر منه أحد[2].

إنه خطيب حقاً، وإنه مُصر على أن يكسب جمهوره، ولو أنه انهار فضعف أو انصرف لضاعت خطبته هباءً.

وهكذا يبدو بوضوح أن ثقة الخطيب بنفسه وعدم خوفه أو اضطرابه من أي معارض أمر لازم لا بد منه لنجاحه واستمراره، وكسب ثقة جمهوره، ولذلك "قال بعض الأقدمين ناصحاً: (إنك لا تتعلم الخطابة حتى تتعلم القحة) والمراد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (القدر) باب: (في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله) عن أبى هريرة -رضي الله عنه- ج٢، ص٢١٦.

(٢) انظر: الخطابة وإعداد الخطيب: الدكتور عبد الجليل شلبي، ج١، ص٤٦-٤٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالقحة عدم المبالاة بأي شيء يكون معارضاً له، ويرجع ذلك إلى الجرأة وقوة الجنان"[1].

ومهما يكن من شيء فإن الثقة بالنفس لا تتأتى للخطيب إلا من خلال حبه للخطابة وإقباله عليها بكامل رغبته واستعداده بالإضافة إلى عنايته واهتمامه باختيار موضوعه، وترتيب أفكاره، وحفظ أدلته، والتدرب على إلقائه، فإذا فعل ذلك وقف بمشيئة الله بين جمهوره واثقاً من نفسه، غير مضطرب ولا خائف من أحدٍ كائناً من كان.

٣- قوة الشخصية:

ومما يقوى تأثير الخطيب فيمن حوله أن يكون متمتعاً بالنفوذ وقوة الشخصية، وهذه الصفة فى الغالب تكون هبة من الله تعالى، فإذا مُنحها الخطيب مع عناصر النجاح الأخرى استطاع أن يقود الجماهير إلى حيث الخير والرشاد، فلا تشرد منه شاردة، ولا يتخلف عنه أحد، وكيف لا؟ وكلماته تستمد من نفسه قوة، ونظراته شعاع ينفذ إلى القلوب، وصوته يهز أركان النفوس ويستولى عليها وهى فرحة به مسرورة.

ولقد أوتى النبي -ﷺ- من هذه الصفة الحظ الأكبر والنصيب الأوفر، وكذا الكثير من أصحابه الكرام "رضوان الله عليهم" وفى مقدمتهم أبو بكر وعمر وعلى ابن أبى طالب، وغيرهم كثير ممن سار بعدهم على الدرب من دعاة الأمة وعلمائها المبرزين.

---

(١) المرجع السابق، ج١، ص٤٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول الدكتور أحمد الحوفي: "النفوذ الشخصي قوة مغناطيسية توهب قلة من الناس، يسيطرون بها على غيرهم، ويجذبونهم إلى آرائهم، وكان هذا سلاح الأنبياء، وميزة من مزايا بعض الزعماء مثل "سعد زغلول" وقد قال عنه "اللورد كرومر" حين مغادرته مصر: "لقد علمني كيف أحترمه"، والنفوذ الشخصي عصا الخطيب السحرية، والناس يحاكون ذا النفوذ الشخصي عامدين أو مسوقين بفطرتهم[1]".

ومن دواعي نفوذ الخطيب وقوة شخصيته: نجاحه في خطبته، وكذلك عزيمته القوية، وعقيدته الحارة الصادقة، فإن الجموع تذوب إرادتها في إرادة محركها وقائدها[2].

٤- حرارة العاطفة:

فالخطيب المتأثر بما يقول، المعتقد صدق ما يدعو إليه تلتهب كلماته، وتستقر في القلوب عباراته، لأنها قبس من نفسه المشتعلة، وصورة من عواطفه المنفعلة، وسرعان ما تتصل أرواح السامعين بروحه، تستمد منها وتتحد معها وتتجاوب، وتندفع إلى الطريق التي يشقها الخطيب ويريدها، فهو لا يكاد ينطق بالجملة حتى تكون أسماعهم قد تلقفتها، وقلوبهم قد وعتها[3].

هذا ويظهر حرص الداعية الخطيب على المدعو في رغبته الشديدة في نصحه ونفعه حتى يكاد يتمزق خوفاً عليه، ويتفطر حرصاً على هدايته وسلامته،

---

(١) فن الخطابة: الدكتور أحمد الحوفي، ص٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص٥٥، بتصرف يسير.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا ما نلمسه جلياً في أنبياء الله ورسله -صلوات الله عليهم أجمعين- وفى هذا المضمار يحدثنا القرآن الكريم عن النبي -ﷺ- وحرصه على أمته فيقول: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً)[1] أي لعلك يا رسول الله مهلك نفسك بحزنك على المشركين لعدم إيمانهم بهذا القرآن والمعنى المراد: لا تأسف عليهم، بل أبلغهم رسالة الله، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات[2].

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً فى هذا الصدد: (طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ[3]).

ويقول جل شأنه حكاية عن سيدنا إبراهيم حينما قام بدعوة أبيه فى حرص وتودد، وعطف وحنان: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً[41] إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً [42] يَأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيَ أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً [43] يَأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَـنِ عَصِيّاً [44] يَأَبَتِ إِنِّيَ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَـنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً) [4].

بهذا اللطف في الخطاب يتوجه إبراهيم -عليه السلام- إلى أبيه، يحاول أن يهديه إلى الخير الذي هداه الله إليه وعلمه إياه، وهو يتحبب إليه بلفظ الأبوة الرحيم "يا أبت" رغم قسوة الأب وعناده وإصراره على الباطل وتمسكه به وهكذا

---

(١) الآية ٦ من سورة الكهف.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣، ص١١٨.

(٣) الآيات من ١-٣ من سورة طه.

(٤) الآيات من ٤١-٤٥ من سورة مريم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يفعل الدعاة المخلصون، والخطباء المؤتمنون على شرع الله ودينه والخلاصة أن حرارة العاطفة صفة لازمة للخطيب الداعية ولا يمكنه أبداً الوصول بدونها إلى جمهوره ومستمعيه.

يقول الدكتور أحمد الحوفي: "محقق إخفاق الخطيب إن تكلم بدون حماسة – عاطفة متقدة تتضح في ألفاظه ومعانيه، وتتجلى في وقفته وإشاراته، لأنه بذلك لا يستميل ولا يستثير، ولا يسيطر على الجمهور.

وقديماً قال صَّحار بن عياش العبدي لمعاوية عن سر بلاغتهم: "شيء تجيش به صدورنا فنقذفه على ألسنتنا".

وقال الحسن البصري لواعظ لم تؤثر فيه موعظته: "يا هذا إن بقبلك لشراً أو بقلبي"(١).

---

(١) فن الخطابة: الدكتور أحمد الحوفي، ص٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الخامس

المقومات البيانية للخطيب الداعية

أهمية البيان للخطيب:

البيان هو الوضوح والانكشاف، وهو الحجة والمنطق الفصيح الذى يخرج الشئ من حيز الأشكال إلى حيز التجلي[1].

وقال بعض العلماء: "الهداية تأتى من سببين: الدلالة والبيان، أما الدلالة فتكون بالحجة والإقناع والدليل، وأما البيان فيكون باللفظ والأسلوب وسحر الكلمة، وما يلزم للتأثير في المخاطب، قال -صلى الله عليه وسلم-: "إن من البيان لسحرا"[2][3].

ومن هنا فإنه يجب على الخطيب الداعية أن يحرص أشد الحرص على أن تكون دعوته في غاية الوضوح والبيان ليصل بها إلى عقول مدعويه وأفئدتهم من أقرب طريق لأن "الدعوة الإسلامية ما كانت ولن تكون بغير البيان، إذْ البيان من أحد لوازمها، والصدق فيه يضمن لها الخلود والعمق، ولذا كان من الأوصاف القرآنية لإبلاغها "المبين"، وكثيراً ما يذكر القرآن أن المرسلين جاءوا بالبينات، ويقصد بها دعواتهم.

---

(١) انظر: المصباح المنير ص٧٠، وكذا المعجم الوجيز ص٧٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب باب إن من البيان لسحراً عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ج٤، ص٢٣.

(٣) الخطابة وإعداد الخطيب للدكتور توفيق الواعى، ص٢٠٣، بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتحقيقاً للبيان أرسل الله رسله بلغة أقوامهم الذين بعثوا فيهم حتى لا تكون لهم حجة فيقولون: لم نفهم ما خوطبنا به فكيف نُسأل عنه، قال تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[1]، قال تعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ)[2].

ولأجل البيان كان تنجيم القرآن؛ لأن التنجيم يفيد إجادة الترتيل، والتفسير الحسن، والدفاع الحق عن الحجج التي تنشأ كما أفاد ذلك قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً)[3]، وقوله تعالى: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً[4])[5].

يقول أبو السعود: على مكث أي على تمهل وتثبت فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم[6]. ومما يظهر البيان ويجليه ما يلي:

أولاً: النطق الحسن:

والنطق الحسن هو الدعامة الأولى للإلقاء الجيد، وإذا اعترى النطق ما يفسده ضاع الإلقاء، ومن ثَّم ضاعت معه الخطبة وأثرها، وفقد الخطيب ما كان يرجوه من وراء بيانه.

---

(١) الآية ٤ من سورة إبراهيم.

(٢) الآية ٤٤ من سورة فصلت.

(٣) الآيتان ٣٢، ٣٣ من سورة الفرقان.

(٤) الآية ١٠٦ من سورة الإسراء.

(٥) قواعد الخطابة للدكتور أحمد غلوش، ص١٨٠-١٨١، بتصرف.

(٦) تفسير أبي السعود، م٣، ج٥، ص١٩٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والنطق الجيد – كما يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله – يحتاج إلى أربعة عناصر لا بد من توافرها، فإذا فقد أحدها ذهب أحد أركانه وبالتالي اختل بنيانه وهي:

١- تجويد النطق: ويقصد به أن يُخرج الخطيب الحروف من مخارجها الصحيحة، فلا ينطق بالثاء سيناً، ولا بالذال زاياً، ولا بالجيم كما ينطق العامة، وهكذا كل مخارج الحروف.

ولا يعنى ذلك أن يتشادق الإنسان ذلك التشادق الذي يقع فيه بعض المتكلمين أو الخطباء فيكون النطق نطقاً يثير سخرية السامعين أو يثقل القول عليهم، بل معناه أن ينطق بالحرف من مخرجه من غير تكلف ولا تشادق ولا توعر، بل في يسر ورفق وسهوله.

٢- مجانبة اللحن: وهذا يتطلب من الخطيب أن يُعنى بتصحيح الكلام الذي ينطق به وملاحظته فى مفرداته وعباراته، كما يتطلب منه ألا ينطق بغير ما توجبه قواعد النحو، فإن ذلك يفسد المعنى وقد يقلبه.

ولا يظن الخطيب أن جودة المعنى وإحكامه قد يذهبان ببعض الأخطاء، فإنَّ الهنات الصغيرة إذا كثرت أحدثت تأثيراً سلبياً للخطبة.

٣- تصوير المعاني تصويراً صادقاً: وذلك بأن يتقن الخطيب إلقاء ألفاظه وكلماته بشكل يجعل المعاني مصورة تصويراً دقيقاً وصادقاً، فالجملة المؤكدة ينطقها بشكل يدل على التوكيد، والجملة الاستفهامية ينطق بها بشكل يتبين منه الاستفهام" وهكذا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- التمهل في الإلقاء: وهو من ألزم الأمور للخطيب، وليس بصحيح ما يزعمه بعض الناس من أن الخطيب اللبق هو من يتدفق بيانه تدفقاً، وتتحدر عباراته في سرعة ومن غير تمهل، فإنَّ ذلك عيب يجب التخلي عنه وذلك للأسباب الآتية:

أ) النطق السريع ينتج منه تشويه المخارج، وخلط الحروف بعضها ببعض، لأن عضلات الفم واللسان لا تأخذ الوقت الكافي للانتقال من لفظ إلى لفظ.

ب) الإسراع المفرط يجعل الخطيب يهمل الوقوف عند المقاطع الحسنة.. وهذا يذهب ببهاء الخطبة وجمالها.

ج) الإسراع في الخطبة لا يعطى السامع الفرصة الكافية لفهم ما يسمع من كلام، وتذوق ما فيه.

د) والتمهل فوق ذلك يجعل الصوت يسرى إلى السامعين جميعاً بأيسر مجهود متناسب مع المكان والعدد، بينما الإسراع يجعل الكلمات تحتاج إلى مجهود صوتي أكبر ليصل الكلام إلى الآذان[1].

وعلى كلٍ فإن التمهل في الإلقاء لا يعنى الهدوء التام فتفقد الخطبة روحها وحيويتها بل يجب أن يكون في نغمات الصوت ورناته، وملامح الخطيب ونظراته، والتغيير النسبي في السرعة والتمهل ما يعطى الخطبة حرارتها وتأثيرها.

---

(١) راجع: الخطابة: الشيخ محمد أبو زهرة، ص١٤٥-١٤٨ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً: المعاني المفيدة:

من المعلوم أن المستمع يأتي إلى الخطيب ليخرج في النهاية بمعنى يبقى في ذهنه، وكل ما يضعه علم الخطابة من دراسات إنما يهدف في النهاية إلى إمداد الجمهور بشيء يؤثر فيه ويفيده، ويوضح له منهجاً صالحاً للقضايا المهمة التي تشغله في حياته.

ومن هنا فإنه لا يكفى في الخطبة أن تكون ذات ألفاظ جميلة وعبارات أنيقة مع خلوها من المعاني الدقيقة، وإنما ينبغى على الخطيب أن يحترم عقول الناس فيجود كلمته، وينظم عناصرها، ويجعلها في مستوى فهمهم مع ضرورة استعمال الصور البيانية المتعددة(١).

ثالثاً: الصوت المعبر:

يعد صوت الخطيب من أهم الوسائل التي يُعَبِّرُ بها عما بداخله من خواطر وأفكار، ومشاعر وأحاسيس، وذلك لأنه من خلاله يصور المعاني ويجسدها ويقربها من القلوب والأذهان، وهذا في الحقيقة يتطلب خطيباً موهوباً، ومدرباً تدريباً جيداً ليعرف كيف يتراوح بصوته بين الارتفاع والانخفاض، والانحباس والانطلاق، والسرعة والبطء، والرقة والفخامة.

يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله: "من الناس من يسمع الإنسان صوته مُحَدِّثاً أو قارئاً أو خطيباً فيشعر بنغماته تثير ارتياحه، وبرنينه يهز إحساسه، وبتشكيله بأشكال مختلفة يتضح المعنى وينكشف المبهم، ومن الناس من تسمع منه أجمل العبارات، وأجمل الألفاظ لكنك ترى العبارات قد فقدت جزءاً كبيراً من

---

(١) قواعد الخطابة: الدكتور أحمد غلوش، ص١٨٥ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بهجتها، وذهب من المعاني أكثر روعتها فدلَّ ذلك على أن للأصوات أثراً كبيراً في حُسن وقع الكلام أو قبحه، وليس المرجع في ذلك جمالها وقبحها، ولكن عمقها وركزها، ورياضتها على تصوير المعاني ونقل الخواطر"هـ[1].

لذلك لا نعجب كثيراً إذا علمنا أنَّ هناك مؤسسات تعليمية متخصصة تعنى بدراسة الصوت، ومعرفة درجاته، ومقاماته ومقاطعه.. وغير ذلك مما يتعلق به، وليس هذا وليد العصر الذي نعيشه الآن، وإنما عرفه الناس وتنبهوا إليه منذ زمن طويل[2].

ومهما يكن من شيء فإن على الخطيب -في هذا الصدد- مراعاة ما يأتي:

أ) أن يجعل صوته مناسباً لسعة المكان وعدد المستمعين، فلا يخفضه حتى يصير في آذانهم همساً، ولا يعلو به حتى يكون صياحاً، ولا ينزعج لمعنى انزعاجاً مستهجناً بل يكون ذكياً في استخدام صوته في علوه وانخفاضه.

ب) أن يبدأ خطبته بصوت مائل إلى الانخفاض ثم يعلو به شيئاً فشيئاً، فإن العلو بعد الانخفاض سهل، ووقعه على الأذن يسير ومقبول أما الخفض الفجائي بعد الارتفاع فلا يحسن وقعه على الأذن، ومن ثم يحافظ الخطيب على طبقات صوته فلا يتهدج[3] ولا يتقطع حتى يفرغ من مهمته.

---

(١) الخطابة: الشيخ محمد أبو زهرة، ص١٤٨.

(٢) كان قدماء اليونان يعتنون عناية خاصة بتربية الصوت، ويجعلونه فناً قائماً بذاته، له أساتذته المتخصصون في دراسته، المرجع السابق ص٥٢.

(٣) فن الخطابة والتوجيه: الدكتور توفيق الواعي والدكتور يسرى هاني، ص ٩٩-١٠٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ج) ألا يكون صوته على وتيرة واحدة علواً أو انخفاضاً دون تغيير تبعاً لطبيعة الألفاظ والمعاني التي يريد توصيلها إلى الناس، لأن ذلك بلا شك يبعث في نفس المستمع الملل والسآمة، ويدفعه إلى النفور والانصراف.

يقول الدكتور طلعت عفيفي: "على الخطيب أن يستفيد من تنوع مراتب الصوت بحيث تتلاءم تلك المراتب مع موضوع الكلام، وبحيث تختلف نغمة فيه عن أخرى، فالترغيب غير الترهيب، والحديث عن الجنة غير الحديث عن النار، وسوق الكلام في صورة خبر يختلف عنه فيما لو كان في صورة سؤال، وتعجب الخطيب من أمر ليس كحسرته عليه، أو إشفاقه على أصحابه.. فإذا لم يراع الخطيب ذلك وجاءت كلماته بنغم رتيب لا يتغير ولا يتبدل كان مبعثاً للضجر والسأم"(١).

د) تغيير سرعة الصوت إذْ أن ذلك من الأمور المهمة التي تساعد الخطيب على الوصول إلى هدفه وبشكل مؤثر.

يقول (ديل كارينجى) في كتابه "التأثير في الجماهير": "إن هذه كانت إحدى الوسائل المحببة عند "لنكولن" حين يريد الوصول بفكرته إلى الهدف، حيث كان ينطلق بعدة كلمات بسرعة كبيرة حتى يصل إلى الكلمة أو العبارة التي يريد تأكيدها، ثم يبطئ في صوته عندها ويضغط عليها، ولا يلبث أن يندفع مسرعاً في الحديث حتى يصل

---

(١) إعداد الخطيب بين الموهبة والتدريب: الدكتور طلعت محمد عفيفي، ص٥٢-٥٣، بتصرف يسير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى نهاية العبارة كالبرق الخاطف، وكان يخصص أطول وقت مستطاع للكلمة أو الكلمتين اللتين يري تأكيدهما"[1] " وهكذا يجب أن يكون الخطيب.

٥) تجنب العيوب الصوتية "ومن أهمها ما يلي":

١- الإسراع الشديد في نطق الحروف والكلمات مما يؤدى إلى غموض المعنى ونفور المستمع، ويُعالج هذا الإسراع بالالتزام بقواعد وأصول علم الخطابة، وأيضاً بالتدريب على النطق الهادئ، والتمهل في التلفظ بالكلمات.

٢- العيوب اللسانية الشائعة كالتمتمة[2]، والفأفأة[3]، والعُقْلة[4]، والحبسة[5]، واللفف[6]، واللثغة[7]، وغير ذلك من عيوب اللسان، وعلاج ذلك كله إنما يكون بالطب، فإنْ لم يكن فعلى الخطيب أن يمرن نفسه على اجتناب الكلمات المعيبة عنده قدر استطاعته.

ومن العيوب الصوتية كذلك خفوت الصوت وضعفه، وهذا العيب إن كان له سبب طبي عولج بالطب، فإن لم يكن فبالتدريب الجيد والممارسة العملية

---

(١) التأثير في الجماهير: ديل كارينجى - ترجمة رمزي يَسَّ وعزت فهيم صالح، ص١٠٠.

(٢) التمتمة: التتعتع في التاء.

(٣) الفأفأة: التتعتع في الفاء

(٤) العُقْلة: بضم العين وسكون القاف، التواء اللسان عند الكلام.

(٥) الحبسة: تعذر النطق.

(٦) اللفف: إدخال بعض الكلمات في بعض.

(٧) اللثغة: إبدال حرف بآخر في النطق كإبدال السين ثاءً، والقاف طاءً، واللام ياءً- انظر: البيان والتبين للجاحظ، جـ١، ص٣٤، - تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القائمة على التدرج شيئاً فشيئاً، وقد ثبت علمياً جدوى المران والتدريب كعلاج ناجح للعيوب الصوتية المختلفة.

وخلاصة القول: أنه لا يكفي لنجاح الخطيب في مهمته أن يحسن اختيار موضوعه، وأن يهتم بإعداده وتحضيره، وأن يتفاعل مع ما فيه من معانٍ وأفكار وأدلة وبراهين، وإنما يجب فوق كل هذا أن يُعنى عناية فائقة -عند أدائه- بروعة الإلقاء، وجودة النطق، وجمال الصوت، وإلا صار قارئاً لموضوعه، أو مجرد متحدث لا خطيباً، وعندئذ -لا قدر الله- يفشل في مهمته ويضيع جهده سدى، وهذا ما لا نرجوه له ولا نتمناه أبداً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب السادس

المقومات الشكلية للخطيب الداعية

لابد للخطيب الداعية من مراعاة مجموعة من الصفات الشكلية المتعلقة بشخصه، والتي تؤثر بشكل كبير في انتباه الجماهير، وذلك لأن الناس حينما يجلسون بين يديه لا يستمعون إليه بآذانهم فقط، وإنما يرمقونه بأبصارهم، ويتابعون حركاته، وإشاراته، وتعبيرات وجهه وملامحه، وكل انفعالاته بعيونهم.. وهذا أمر بالغ الأهمية لأنه مدعاة إلى اليقظة والانتباه لكل ما يقوله الخطيب ويدعو إليه.

وفيما يلي أهم هذه الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها:

أولاً: جمال الصورة وحسن الهندام:

الخطيب محط أنظار الناس ومحل تقديرهم واحترامهم، ومن ثم فلا بد أن يكون وجيهاً جميلاً، حسن الهيئة والهندام في غير مبالغة ولا إسراف.

ولا أقصد بجمال الصورة هنا أن يكون الخطيب وسيماً، غاية فى الحسن والجمال، وإنما أقصد أن يكون مقبولاً غير دميم ولا منفر: لأن ذلك يقربه من مستمعيه، ويحببه إلى نفوسهم، والناس منذ قديم الزمان مولعون بالقوة والسلامة والاستواء في الخلقة وحسن الصورة والمظهر.

(وقد ذكر الجاحظ أن زيد بن جندب كان أشغى أفلح[1] ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة.

---

(١) أشغى: أسنانه مختلفة طولاً وقصراً، ودخولاً وخروجاً، وأفلح الأسنان: يعنى أصغرها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على أن براعة الخطيب، وبلاغته وجهارة صوته، وروعة وقفته قد تتغلب على دمامته، فقد كان الأحنف بن قيس صغير الرأس، مائل الأنف، مسترخى الأذنين، متراكب الأسنان،مائل الذقن ناتئ الوجنة، خفيف العارضين، مقوس الرجلين، لكنه كان خطيباً مفوهاً إذا تكلم جلَّي عن نفسه.

وكان ميرابو خطيب الثورة الفرنسية دميم الخلقة، لكن تكوينه الجسدي جعل منه خطيباً عظيم الشأن، إذ كان قوى الكتفين، مرنان الصوت، نافذ النظرات) [1]

وبهذا يتضح أن دمامة الخلقة لم تعق واحداً من هؤلاء عن اجتذاب سامعيه لأن جمال الخلقة من مكملات الشخصية للخطيب.. ولكن إذا اجتمع جمال الصورة مع بقية المقومات الأخرى كان ذلك أدعى للقبول وأقوى للتأثير فى نفوس المستمعين.

هذا ومما يضفى على الخطيب بهاء ووقاراً وجمالاً: حسن هيئته وهندامه، فالهندام المنسق يعزز ثقة الخطيب بنفسه، ويكسبه في أعين الناس مهابة، والناس منذ القدم يتأثرون لأول وهلة بالهيئة الحسنة، والمنظر الجميل، ولذلك كان العرب في الجاهلية وما بعدها يلبسون العمائم ويفخمون منظرهم إذا ما خطبوا.

وهناك شواهد كثيرة تؤكد هذا الجانب وضرورته للخطيب ليكون مؤثراً فى جمهور مستمعيه.

---

(١) فن الخطابة، للدكتور/ أحمد الحوفى، ص ٣٣، ٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذكر الجاحظ في كتابة البيان والتبيين: (أن إياس بن معاوية المزني، وهو رجل مشهور بالذكاء والفراسة – أتى حلقة لقريش في مسجد دمشق، فاستولى على المجلس، ورأوه أحمر دميماً.. رث الهيئة، فاستهانوا به، فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا: الذنب مقسوم بيننا وبينك، أتيتنا في زى مسكين تكلمنا بكلام الملوك) أ هـ [1]

(ورأى سيدنا معاوية بن أبى سفيان رجلاً يرتدى عباءة رثه وهو يخطب، فأنكر مكانه وهيئته، فاضطر الخطيب إلى أن يقول له: العباءة لا تكلمك، وإنما يكلمك من فيها) [2]

ومن كلام الإمام أبى فرج بن الجوزي: على أهل العلم أن يظهروا مروآتهم في ثيابهم إكراماً للعلم وإجلالاً له[3].

وذلك أمر مفهوم من روح الإسلام وتعاليمه، فقد قال سبحانه وتعالى: (يَبَنِيٓ آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) [4] وقال جل شأنه: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) [5]

وهذه الآية كما ذكر الإمام القرطبي في معرض بيانه لها: تدل على لباس الرفيع من الثياب، والتجمل بها في الجمع والأعياد، وعند لقاء الناس ومزاورة الإخوان.

---

(١) البيان والتبيين، للجاحظ، ج١ ص ٩٥.

(٢) المرجع السابق نفسه، ج١ ص ٢٣٧.

(٣) انظر: فن الخطابة والتوجيه، للدكتورين/ توفيق الواعي ويسرى هانئ، ص ١٠٤

(٤) في الآية (٣١) من سورة: الأعراف.

(٥) الآية: (٣٢) من سورة: الأعراف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما ورد في تفسير القرطبي لهذه الآية الكريمة: أن أم المؤمنين عائشة "رضي الله عنها" قالت: كان نفر من أصحاب رسول -ﷺ- ينتظرونه على الباب، فخرج يريدهم، وفى الدار ركوة فيها ماء، فجعل ينظر في الماء ويسوى لحيته وشعره، فقلت: يا رسول الله وأنت تفعل هذا؟ قال: نعم إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهئ من نفسه فإن الله جميل يحب الجمال)، كما ورد عن خالد بن معدان: أن رسول الله "ﷺ" كان يسافر بالمشط والمرآة والدهن والسواك والكحل، وقال أبو الفرج: وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المترفعة ولا الدون، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد وللقاء الإخوان، ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحاً)[1].

ومهما يكن من أمر فإن الخطيب الداعية أولى من غيره فى التحلى باللباس الطيب والهيئة الحسنة عند كل خطبة أو محاضرة أو درس فى غير إسراف، ولا خيلاء، وليكن قدوته في ذلك إمام الدعاة وسيدهم رسول الله (ﷺ) وكذا السلف الصالح الذين كانوا يحرصون على التجمل والتهئ للقاء الناس قدر طاقتهم وفى حدود ما لديهم دون تكلف.

يقول الدكتور/ طلعت عفيفي: (وخير للداعية في هذا المقام أن يرتدى من الثياب ما تعارف الناس عليه أنه ثياب أهل العلم والدعوة كالجبة والعمامة، أو الجلباب والعباءة مع غطاء للرأس، وها نحن نرى التزام أهل كل مهنة بما يميزهم في لباسهم كالمحامين والقضاة، وكذلك نرى زعماء كل دين يحرصون على التميز بلباس خاص يميزهم عن بقية الناس، وهذا خير للخطيب وأكرم من أن يعتلى المنبر وقد تجرد من هدى النبي (ﷺ) فحلق لحيته وأطلق شاربه، وراح

---

(١) الجامع لأحام القرآن، للإمام القرطبي، ج٣ ص ٢٧١٣ - ٢٧١٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحكى بمظهره تقاليد الغرب في زيهم وهيئتهم، فيقل بذلك تأثيره في جمهوره، وتصعب مهمته في إقناعه واستمالته) (١)

٤- **ثانياً: الوقوف في مواجهة المستمعين:**

على الخطيب أن يلحظ مكانه بالنسبة للجمهور، فلا بد أن يكون أمامهم، ويستحب له أن يكون واقفاً، وعلى مكان مرتفع، وألا يبدأ في خطبته فور وقوفه، بل يتمهل قليلاً حتى يلحظه الجمهور الناظر، ولقد عرف الخطيب العربي – في الجاهلية – هذه الميزة، فكان يخطب على ظهر دابته، أو على مرتفع من الأرض، وحسبنا أن أول خطبة خطبها النبي"ﷺ" كانت من فوق جبل الصفا.. وقد ثبت أنه استمر مدة طويلة يخطب الناس وهو واقف مستنداً إلى جذع نخلة إلى أن انتقل إلى منبر أقامه المسلمون للخطبة خاصة.

وفى العصر الحديث عرف الجميع قيمة هذه الصفة فاهتموا جميعاً بتأسيس مكان خاص للخطيب يتميز بالارتفاع وبأنه في مواجهة المستمعين، ففي دور العبادة حيث الخطب الوعظية، وفى المؤتمرات والهيئات العالمية، وفى دور القضاء يعطى الخطباء الأماكن الخاصة بهم ليلقوا خطبهم منها(٢).. وهذا أمر له أهميته لأنه يمكن الخطيب من مطالعة جمهوره، ومتابعة مدى استعدادهم لسماعه، وإقبالهم عليه، كما يمكن الجمهور من رؤية الخطيب بصورة جيدة، ومتابعتهم له في كل أقواله، وحركاته، وإشاراته، وانفعالاته، وذلك بلا شك أدعى لانجذابهم إليه وتأثرهم بدعوته.

---

(١) إعداد الخطيب بنين الموهبة والتدريب، للدكتور/ طلعت محمد عفيفى، ص ٦١.

(٢) قواعد الخطابة، للدكتور/ أحمد غلوش، ص١٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثاً: حسن الإشارة:

الإشارة لغة منظورة أو لغة متحركة مفهومة، فإذا اقترنت الإشارة باللغة في موضعها الملائم أثرت تأثيراً عظيماً، وصوت الخطيب مهما تتغير نبراته ونغماته لا يكفى وحده للتعبير عن العواطف كلها، فلابد من أن تساعده حركات اليد والرأس والمنكبين، وملامح الوجه، ونظرات العينين وإشارات الحاجب[1].

فالعين هي النافذة التي نطل منها على العالم، ويطل منها علينا، فمثلاً العين المفتوحة تمثل الغيظ أو الخوف أو الإعجاب، والعين المغلقة تشير إلى التواضع أو البغضاء، والنظر الشزر يترجم عن الاحتقار والاستهانة والكراهية، والعين المتطلعة إلى السماء ترمز إلى الدعاء، والنظر إلى الأرض يعبر عن اليأس أو الخشوع أو الحياء، والعين المستقرة في نظرتها تفصح عن الشدة والإثبات والرجاء، والوجه كله معبر عن الانفعالات بما يرتسم على صفحته من خطوط وأشكال، فارتفاع خطوط الجبهة قليلاً يمثل الانتباه، وارتفاعها كثيراً يرسم الدهشة أو الفرح العظيم أو الألم الشديد، وانخفاضها يدل على القلق والتفكير، والوقفة المعتدلة الناهضة تدل على التحدي، والوقفة المنحنية تدل على الحنان والشفقة والاستسلام.. وقد يجد الخطيب من اللائق ألا يصرح بلفظ فيشير إشارة تؤدى معناه، فتكون أبرع دلالة وأليق بالمقام[2].

ومن هنا أكد العلماء على أهمية الإشارة والحركة في مجال الخطابة.

---

(١) فن الخطابة، للدكتور/ أحمد الحوفي، ص٢٧.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٧، ٢٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول الدكتور/ عبد الجليل شلبي: (لابد لجودة الإلقاء من الإشارات باليد أو بغير اليد أيضاً فإن هذه الإشارات مما يوضح المعنى ويثبت أثره في سامعه)[1].

ويقول الشيخ/ أبو زهرة "رحمه الله": (إن الإشارات هي المخاطبة الصامتة، أو هي لغة التفاهم العامة، وهى في كثير من الأحيان صوت الشعور، وعبارة الوجدان، ولهذا كان للإشارة أثر في إثارة الانتباه والشعور، وتقوية الدلالة، لأن المعنى معها تدل عليه دلالتان بل ثلاث دلالات: إحداها لفظية، والثانية صوتية، والثالثة تلك الإشارات البيانية) أ هـ [2]

ولأجل هذا وغيره كان النبي "ﷺ" كثيراً ما يستخدم الإشارة في خطبه وأقواله "صلوات الله وسلامه عليه"، ومن ذلك قوله "ﷺ" فيما رواه عنه سهل بن سعد "رضي الله عنه": (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا... وقال بإصبعيه السبابة والوسطى) [3].

كما ورد عنه "صلوات الله عليه" أنه كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه، وعلا صوته، واشتد غضبه كأنه نذير جيش يقول: (صبحكم مسّاكم) [4] وهذا إن دلّ فإنما يدل على أنه "ﷺ" كان ينفعل أثناء حديثه كلما استوجب الأمر ذلك.

وعلى أيه حال فإن استخدام الحركة أو الإشارة ينبغي أن يكون وفق ضوابط خاصة لتؤدى الغرض المنشود منها.. وهذه الضوابط من الممكن أن نوجزها فيما يلي:

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب، للدكتور/ عبد الجليل شلبي، ج١ ص ٤٢.

(٢) الخطابة، الإمام/ أبو زهرة، ص ١٥١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب "الأدب" باب "فضل من يعول يتيماً"، ج٤ ص ٥٤.

(٤) أخرجه النسائي فى كتاب "صلاة العيدين" باب "كيف الخطبة"، م١ ص ٥٥٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أ- أن تكون ملائمة للمعنى، موافقة له، حتى يشعر السامعون بقوة دلالتها عليه، وإلا كانت عبثاً لا معنى لها، كما يفعل بعض المحامين من مسحهم جبينهم آناً بعد آن من غير أن يكون عرق، أو وضع أيديهم على نظاراتهم أو خلع طرابيشهم، فإن أمثال هذه الحركات لا تشير إلى معنى، ولا تنبئ عن إحساس نفسي قوى أو ضعيف.

ومما يؤكد هذا أنني صليت الجمعة مرة وراء عالم جليل، وشيخ كبير، أعجبني جداً موضوع خطبته، وانبهرت بروعة إلقائه، ودقة أدائه، ولكن لم يعكر علينا صفو الاستمتاع بهذه الخطبة القيمة موضوعاً وأداء إلا أن الشيخ الجليل كان من وقت لآخر وبغير مناسبة يخلع عمامته ثم يلبسها.. ويخلع نظارته ثم يلبسها.. ويثنى رجله اليمنى ثم يرفعها ليستند بها على الجانب الأيمن من المنبر.. وكل هذا يتم في حركة سريعة وقوية لدرجة أنني كنت أخشى عليه أن يقع في أي لحظة.. وجلست مشغولاً لحد ما بهذا الأمر.. خاصة وأنه كبير السن، ضعيف البنية.

إذن فلابد أن تكون الحركة أو الإشارة متوافقة مع المعنى، منسجمة مع السياق وإلا كانت ضارة غير نافعة.

ب- أن تتزامن مع الكلمة التي تُستخدم الإشارة لأجلها أو تسبقها بقليل، فإن تأخرت عنها ضاعت فائدتها[1].

ج- ألا تتكرر الحركة أو الإشارة على نحو يلفت الأنظار، لأن في هذا ما يدعو إلى السأم والملل. [2].

---

(١) انظر: إعداد الخطيب، للدكتور/ طلعت عفيفى، ص٦٣.

(٢) الخطابة: الشيخ محمد أبو زهرة، ص١٥٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د- وعليه ألا يحجب عن الناظرين وجهه بيده، أو يعترض بها جسمه، وأن تكون إشارته بيده سريعة إن كان الكلام حاداً لتطابق العاطفة، وأن يستعمل يمناه إذا كانت رجله اليمنى إلى الأمام والعكس[1].

والخلاصة أن الحركة والإشارة وليدة الانفعال والتأثر، والخطيب الذي لا يكون متأثراً بما يقول يفقد أهم صفات الخطيب ومقوماته.

وبالإضافة إلى كل ما سبق فإن هناك أموراً أخرى كثيرة يجب على الخطيب أن يلاحظها وأن يهتم بإعدادها وتجهيزها لتكون مساعدة له في خطبته فمثلاً عليه أن يأمر بإعداد المكان إعداداً مناسباً، لأن المكان إذا لم يكن متسعاً للناس، أو كان سيء التهوية، أو خالياً من المقاعد أو الفرش المناسب، أو لا توجد به الإضاءة الكافية، أو مكبرات الصوت اللازمة، فإنه يدعو إلى ضيق المستمع وانصرافه عن الخطيب.

قد يقال: إن هذه الأمور جانبية وبسيطة، ولا صلة لها بالصفات الشكلية اللازمة لشخص الخطيب.. وهذا صحيح لكنها في الوقت نفسه تلعب دوراً كبيراً في نجاحه وإقبال الناس عليه.. وحتى نتأكد من صحة هذا نسأل: ماذا يكون الحال لو أن الخطيب كان على المستوى المطلوب من الإعداد الجيد، والأداء المتميز، وحضر الناس في الزمان والمكان المحددين، وهم مهيئون تماماً للاستماع إلى الخطيب والتجاوب معه.. وإذا بهم مع كل هذا يجدون المكان ضيقاً لا يسعهم، أو خالياً من المقاعد أو الفرش اللازم، أو أن مكبرات الصوت به سيئة للغاية برغم سعة المكان وكثرة العدد؟

---

(١) فن الخطابة، للدكتور/ أحمد الحوفي، ص ٢٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألا يحدث هذا في نفس الخطيب والجمهور معاً ضجراً وسخطاً وإحباطاً قد يفقد الخطيب معه رغبته في الكلام ويفقد الناس استعدادهم للاستماع إليه؟.. نعم قد يحدث هذا بل قد يتسبب ذلك بالفعل في انصراف الجمهور وفشل اللقاء[1].

إذن هذه الأمور على بساطتها لها أهمية كبيرة لأنها تعين الخطيب على أداء مهمته ونجاحه فيها، كما تعين الجمهور وتشجعه على الاستماع إليه بوضوح والتفاعل معه فيما يدعو إليه.

---

(١) لقد حدث معي هذا بالفعل في رمضان عام (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) وبالتحديد في ليلة السادس والعشرين منه، حيث كان من المقرر عقد ملتقى فكرى إسلامي كبير، وبالفعل تم اختياري كمحاضر في هذا الملتقى، وتم تحديد الموضوع وكان حول: حقوق الإنسان في الإسلام، كما تم توجيه الدعوة للجمهور، وتحديد الزمان والمكان، وحضر الجميع وكانت المفاجأة أن القائمين على التنفيذ لم يتابعوا بصورة جيدة إعداد المكان وتجهيزه على النحو المطلوب.. وكاد اللقاء أن يفشل، لولا أن الله سلم وأنقذنا ما يمكن إنقاذه بفضل الله وتوفيقه، وقلت يومها للقائمين على الأمر معاتباً وموجهاً: ينبغي أن نستفيد من هذا الموقف جيداً وألا نقع فيما وقعنا فيه في أي لقاء قادم بمشيئة الله تعالى، ولابد من الإعداد والتخطيط والمتابعة حتى تتم الأمور بالصورة التي نرجوها جميعاً ووعدوني بذلك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمـــــــــــة

وفى نهاية هذا البحث يطيب لى أن أؤكد على جملة من الحقـائق التـى وردت فى سطوره وبين ثناياه والتى ينبغى أن تكون محل عناية واهتمام من قبل الخطباء الدعاة وكل من يتصدى لإعدادهم وتوجههم لتـؤدى الكلمـة الخطابيـة دورها المنشود فى النهوض بالأمة والارتقاء بها.. وتتلخص هذه الحقائق فيمـا يلى:

- أولاً: للخطيب الداعية فى منظور الإسلام مكانة رفيعة لا تدانيها مكانة لأنه حينما يتحدث إلى جمهوره ومحبيه إنما يمثل رسول الله صـلى الله عليـه وسلم وينوب عنه فيما يدعوهم إليه، وهذا شرف ما بعده شرف.
- ثانياً: الخطيب الداعية يخاطب فى الإنسان أغلى ما يملك – عقلـه وقلبـه وروحه – ومن ثم فإن الطريق أمامه مفتوح لمعالجة الكثير من المشكلات النفسية والانحرافات الفكرية والسلوكية التى يعانى منها الكثير من الناس.
- ثالثاً: الخطيب الداعية بما وهبه الله من علم وحكمـة هـو الـذى يملـك الوصول إلى الناس والتأثير فيهم.. وهذا يتطلب ما يلى:

أ- اختياره بدقة وفق أسس ومعايير علمية سليمة.

ب- تزويده بكافة ما يحتاج إليه من علوم ومعارف.

ج- تعليمه بعض اللغات الأجنبية الحية حتى يتـسنى إيفـاده إلـى مختلف البلاد والأقطار، لتؤدى الأمة من خلاله أقدس واجباتها، وهو واجب الدعوة إلى الله تعالى بالكلمة الطيبـة والموعظـة الحسنة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د- رعايته مادياً ومعنوياً.

- **رابعاً:** إن كثرة الإطلاع وتعدد أوجه الثقافة والمعرفة ضرورة حتمية لكل خطيب يدعو إلى الله تعالى، وعلى أبنائنا – دعاة الغد بمشيئة الله عز وجل – أن يعدوا العدة لذلك من الآن، فلا يترك أحدهم كتاباً فى أى فرع من فروع العلم – يخدمه فى مجاله – إلا ويبادر باقتنائه وقراءته وبذلك تتكون ثقافته المطلوبة شيئاً فشيئاً.

- **خامساً:** الخطيب فى الناس قائد ومن ثم فلا بد أن يكون قدوة طيبة ومثلاً كريماً يحتذى به فى كل أقواله وأفعاله.. وهذا لن يتحقق إلا إذا كان متصفاً بأطيب الصفات وأكرم الخلال.

- **سادساً:** الخطيب رجل ذو رأى سديد وفكر رشيد، وهو دائماً يحمل إلى الناس ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم، ثم يدفعهم بكلماته المؤثرة إلى الالتزام بما يدعو إليه، وهذا يتطلب من الخطيب الداعية أن يكون قوى الذاكرة، عميق النظرة، حاضر البديهة، قوى الملاحظة.

- **سابعاً:** الخطيب طبيب روحى يعالج أمراض النفوس وأدواء القلوب، وهو يحاول قدر طاقته وقايتها من أى أمراض متوقعة سواء من ناحية العقيدة أو السلوك أو الأعراف والتقاليد، وهذا يستلزم منه أن يكون محباً لرسالته، واثقاً بنفسه، قوياً فى شخصيته، صادقاً فى عاطفته.

- **ثامناً:** لا يكفى لنجاح الخطيب أن يحسن اختيار موضوعه وأن يهتم بإعداده وتحضيره، وإنما ينبغى أن يتفاعل مع ما فيه من معان وأفكار وأدلة وبراهين، وأن يعنى عناية فائقة عند الأداء بروعة الإلقاء، وجودة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النطق، وجمال الصوت، وإلا صار قارئاً لموضوعه لا خطيباً، وعندئذ يفشل فى مهمته ويضيع جهده سدى.

- **تاسعاً:** الناس لا يستمعون إلى الخطيب بآذانهم فقط وإنما يرمقونه بأبصارهم ويتابعونه بأعينهم فى كل حركاته وسكناته، وإشاراته وانفعالاته، وهذا يحتم على الخطيب ما يلى:

أ- جمال الصورة وحسن الهندام.

ب- الوقوف فى مواجهة المستمعين حتى يتسنى لهم متابعته والتفاعل مع ما يدعو إليه.

ج- استخدام الإشارة بالشكل المناسب، وفى اللحظة المناسبة لتؤدى دورها المطلوب فى التأثير.

- **عاشراً:** إنَّ إعداد المكان وتجهيزه بالفرش والمقاعد والإضاءة والتهوية المناسبة أمر – وإن كان شكلياً – إلا أنه فى غاية الأهمية لأن له أكبر الأثر فى متابعة الخطيب والانجذاب إليه والتجاوب معه.

وفى الختام أضرع إلى الله العلى القدير أن يتقبل منى هذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به دعاة المسلمين وعلماءهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهم مراجع البحث

- أولاً: القرآن الكريم:
- ثانياً: كتب السنة:
  - السنن الكبرى: الإمام النسائى – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – عام ١٤١١ – ١٩٩١م.
  - الوجيز فى علوم الحديث للدكتور الخشوعى محمد الخشوعى – ط. الجمعية الشرعية الرئيسية – عام ٢٠٠٦م.
  - سنن ابن ماجة – الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى – دار الريان للتراث – تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى.
  - سنن أبى داود: الإمام الحافظ أبو داود – دار الريان للتراث – عام ١٤٠٨ – ١٩٨٨م.
  - صحيح البخارى: الإمام البخارى – المكتبة التوفيقية – تحقيق عماد زكى البارودى – بدون تاريخ
  - صحيح ابن حبان – الإمام ابن حبان – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤ / ١٩٩٣م.
  - صحيح مسلم: الإمام مسلم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.
- ثالثاً: كتب التفسير:
  - الجامع لأحكام القرآن: الإمام القرطبى – دار الغد العربى – الطبعة الأولى – عام ١٤٠٩ – ١٩٨٨م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

• تفسير أبى السعود: الإمام أبو السعود – دار إحياء التراث العربى – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤١٤ – ١٩٩٤م.
• تفسير القرآن العظيم: الإمام الحافظ ابن كثير – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – بدون تاريخ.
• تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى – دار البيان الحديثة – الطبعة الأولى عام ١٤٢٥ – ٢٠٠٤م.
• فى ظلال القرآن: الأستاذ سيد قطب – دار الشروق – بيروت – الطبعة الثالثة عشرة – عام ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

- رابعاً: كتب الخطابة:

• أصول الخطابة العربية بين مراحل التاريخ وفن التطبيق: الدكتور عبد الغفار عزيز – دار الحقيقة للإعلام الدولى – عام ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
• أضواء على الخطابة الإسلامية – الدكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف – دار الطباعة المحمدية – القاهرة – الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
• إعداد الخطيب بين الموهبة والتدريب – الدكتور طلعت محمد عفيفى سالم – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
• البيان والتبيين للجاحظ – لجنة التأليف والترجمة – تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون عام ١٩٤٩م.
• التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة – ديل كارينجى – ترجمة رمزى يسى وعزت فهيم صالح – دار الفكر العربى – بدون تاريخ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الخطابة – أصولها وتاريخها: الإمام محمد أبو زهرة – دار الفكر العربـــى – بدون تاريخ.
- الخطابة بين النظرية والتطبيق: الدكتور محمود محمد عمارة – مكتبة الإيمان بالمنصورة – الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـــ – ١٩٩٧م.
- الخطابة وإعداد الخطيب: الدكتور عبد الجليل شـــلبى – ط. وزارة الأوقـــاف المصرية – الطبعة الرابعة بدون تاريخ وكذا ط. دار القلم – الكويت – الطبعة الثانية عام ١٩٨٢م
- الخطابة وإعداد الخطيب: الدكتور توفيق الوعى – دار اليقين للنشر والتوزيـــع – مصر – الطبعة الثانية ١٤١٧هـــ – ١٩٩٦م
- الخطابة وفن الإلقاء: الدكتور عزت على محمد السروجى: دار أبو المجـــد – الطبعة الثانية – ١٤٠٨هـــ – ١٩٨٨م
- خطبة الجمعة – أصولها العلمية ودورها فى توجيه الرأى العام: الدكتور عبـــد الباسط السيد مرسى – مطبعة الحسين الإسلامية – القاهرة – الطبعـــة الثانيـــة ١٤١٨هـــ – ١٩٩٧م.
- دراسات فى علم الخطابة: الدكتور عبد الغفار عزيز وآخـــرون: ط. الفـــاروق الحديثة عام ١٤٠٢هـــ – ١٩٨٢م
- فن الخطابة وإعداد الخطيب: الشيخ على محفوظ – دار الاعتـــصام – بـــدون تاريخ.
- فن الخطابة: الدكتور أحمد محمد الحوفى – نهضة مصر – ٢٠٠١م.
- فن الخطابة والتوجيه: الدكتور توفيق الواعى والدكتور يـــسرى هـــانئ – دار الطباعة والنشر الإسلامية – الطبعة الأولى – ١٤١٨هـــ – ١٩٩٧م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

• قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين: الدكتور أحمد أحمد غلوش – دار البيان – الطبعة الأولى – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

• قواعد علم الخطابة وفقه الجمعة والعيدين: الدكتور أحمد أحمد غلوش – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية عام ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م

• محاضرات فى الخطابة: الدكتور محمود حمايـة – ط. الجمعيـة الشرعية الرئيسية بالقاهرة – بدون تاريخ

– خامساً: كتب الدعوة والثقافة الإسلامية:

• أصول الدعوة: الدكتور عبد الكريم زيدان – مؤسسة الرسالة – الطبعة السابعة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م

• تذكرة الدعاة: الأستاذ البهى الخولى – دار التراث بالقاهرة – الطبعة الثامنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م

• ثقافة الداعية: الدكتور يوسف القرضاوى – مؤسسة الرسالة – الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م

• مدارج السالكين: الإمام ابن القيم الجوزية – دار التراث العربى – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م

• هداية المرشدين: الشيخ على محفوظ – دار الاعتصام – الطبعة التاسعة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

– سادساً: المعاجم اللغوية:

• المصباح المنير – دار المعارف بالقاهرة – تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- المعجم الوجيز: إعداد مجمع اللغة العربية – ط. وزارة التربية والتعليم بمصر عام ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

- سابعاً: الصحف والمجلات:

- جريدة صوت الأزهر جامعاً وجامعة: العدد رقم ٤٢٨ – الصادر في ٢٠٠٧/١٢/٧م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner